بسم الله الرحمن الرحيم

٩٧ ـ كتاب التوحيد

١ ـ باب ما جاء في دُعاء النبيِّ ﷺ أمَّتَه إلى توحيد الله تباركَ وتعالى

٧٣٧١ ـ عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما أنَّ النبي ﷺ بعث مُعاذاً إلى اليمن».

٧٣٧٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما بَعثَ النبيُّ ﷺ مُعاذاً إلى نحو أهل اليمن قال له: إنكَ تقدَمُ على قوم من أهل الكتاب فليكن أولَ ما تدعوهم إلى أن يُوحِّدوا اللهَ تعالى فإذا عرَفوا ذلك فأخبِرْهم أن اللهَ فرض عليهم خَمسَ صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاةً أموالِهم تُؤْخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخُذ منهم وتَوَقَّ كرائمَ أموالِ الناس».

٧٣٧٣ ـ عن معاذِ بن جَبل قال: قال النبيُّ ﷺ: يا معاذ، أتَدري ما حقُّ الله على العباد؟ قال: اللهُ وَرَسُولهُ أعلم. قال: أن يَعبدوه ولا يُشرِكُوا به شيئاً، أتَدرِي ما حَقُّهُم عليه؟ قال: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: أن لا يُعَذِّبَهُم».

٧٣٧٤ ـ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ رجلاً سمع رجلاً يقرأ {قل هو الله أحدٌ} يُرَدِّدُها، فلما أصبحَ جاء إلى النبيِّ ﷺ فذكر له ذلك -فكأنَّ الرجلَ يَتقالُّها- فقال رسولُ الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنها لتعدلُ ثُلث القرآن».

٧٣٧٥ ـ عن عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ بَعثَ رجلاً على سَرِيةٍ وكان يَقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هوَ الله أحد، فلما رجَعوا ذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: سَلوه لأيِّ شيء يَصنعُ ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرَّحمن. وأنا أحبُّ أن أقرأ بها، فقال النبيُّ ﷺ: أخبروه أنَّ الله يُحبُّه».

قوله (باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى) المراد بتوحيد الله تعالى الشهادة بأنه إله واحد.

قوله (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب) هم اليهود، وكان ابتداء دخول اليهودية اليمن في زمن أسعد ذي كرب وهو تُبَّع الأصغر كما ذكره ابن اسحق مطولاً في السيرة، فقام الإسلام وبعض أهل اليمن على اليهودية، ودخل دين النصرانية إلى اليمن بعد ذلك لما غلبت الحبشة على اليمن، وكان منهم أبرهة صاحب الفيل الذي غزا مكة وأراد هدم الكعبة حتى أجلاهم عنها سيف بن ذي يزن، كما ذكره ابن اسحق مبسوطاً أيضاً، ولم يبق بعد ذلك باليمن أحد من النصارى أصلا إلا بنجران وهي بين مكة واليمن وبقي ببعض بلادها قليل من اليهود.

قوله (فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله[١] فإذا عرفوا ذلك) مضى في وسط الزكاة من طريق اسماعيل بن أمية عن يحيى بن عبد الله بلفظ «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله» وقد تمسك به من قال أول واجب المعرفة كإمام الحرمين واستدل بأنه لا يتأتى الإتيان بشيء من المأمورات على قصد الامتثال، ولا الانكفاف عن شيء من المنهيات على قصد الانزجار إلا بعد معرفة الآمر والناهي، واعترض عليه بأن المعرفة لا تتأتى إلا بالنظر والاستدلال.

وقد ذكرت في «كتاب الإيمان» من أعرض عن هذا من أصله وتمسك بقوله تعالى {فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها} وحديث «كل مولود يولد على الفطرة» فإن ظاهر الآية والحديث أن المعرفة حاصلة بأصل الفطرة، وأن الخروج عن ذلك يطرأ على الشخص لقوله عليه الصلاة والسلام «فأبواه يهوِّدانه وينصِّرانه».

وقرأت في جزء من كلام شيخ شيخنا الحافظ صلاح الدين العلائي ما ملخصه: أن هذه المسئلة مما تناقضت فيها المذاهب وتباينت بين مفرِّط ومفرط ومتوسط، فالطرف الأول قول من قال يكفي التقليد المحض في إثبات وجود الله تعالى ونفي الشريك عنه، وممن نسب إليه اطلاق ذلك عبيد الله بن الحسن العنبري وجماعة من الحنابلة والظاهرية، ومنهم من بالغ فحرم النظر في الأدلة واستند إلى ما ثبت عن الأئمة الكبار من ذم الكلام كما سيأتي بيانه.

والطرف الثاني: قول من وقف صحة إيمان كل أحد على معرفة الأدلة من علم الكلام، ونسب ذلك لأبي إسحق الأسفرايني، وقال الغزالي: أسرفت طائفة فكفروا عوام المسلمين، وزعموا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التي حرروها فهو كافر، فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين.

وقال القرطبي في المفهم: في شرح حديث «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» الذي تقدم شرحه في أثناء «كتاب الأحكام» وهو في أوائل «كتاب العلم» من صحيح مسلم، هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالأوجه الفاسدة والشبه الموهمة، وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين، كما يقع لأكثر المتكملين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلف أمته، إلى طرق مبتدعة واصطلاحات مخترعة وقوانين جدلية وأمور صناعية مدار أكثرها على آراء سوفسطائية، أو مناقضات لفظية ينشأ بسببها على الآخذ فيها شبه ربما يعجز عنها، وشكوك يذهب الإيمان معها، وأحسنهم انفصالاً عنها أجدلهم لا أعلمهم، فكم من عالم بفساد الشبهة لا يقوى على حلها، وكم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها ثم إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعاً من المحال

(١) في المتن واليونينية "تعالى" وفي الشرح بدونها

لا يرتضيها البُلْه ولا الأطفال.

وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم، حتى جاء عن إمام الحرمين أنه قال: «ركبتُ البحر الأعظم، وغُصتُ في كل شيء نهى عنه أهل العلم في طلب الحق فراراً من التقليد والآن فقد رجعت واعتقدت مذهب السلف» هذا كلامه أو معناه وعنه أنه قال عند موته «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أنه يبلغ بي ما بلغت ما تشاغلت به» إلى أن قال القرطبي: وأما احتجاجهم بأن أحدا لا يدري قبل الاستدلال أي الأمرين هو الهدي فليس بمسَلَّم، بل من الناس من تطمئن نفسه وينشرح صدره للإسلام من أول وهلة، ومنهم من يتوقف على الاستدلال، فالذي ذكروه هم أهل الشق الثاني، فيجب عليه النظر ليقي نفسه النار لقوله تعالى {قوا أنفسكم وأهليكم ناراً} ويجب على كل من استرشده أن يرشده ويبرهن له الحق وعلى هذا مضى السلف الصالح من عهد النبي ﷺ وبعده.

وأما من استقرت نفسه إلى تصديق الرسول ولم تنازعه نفسه إلى طلب دليل توفيقاً من الله وتيسيراً.فهم الذين قال الله في حقهم {ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم} الآية.

وقال {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام} الآية وليس هؤلاء مقلدين لآبائهم ولا لرؤسائهم.لأنهم لو كفر آباؤهم أو رؤساؤهم لم يتابعوهم بل يجدون النفرة عن كل من سمعوا عنه ما يخالف الشريعة وأما الآيات والأحاديث فإنما وردت في حق الكفار الذين اتبعوا من نهوا عن اتباعه وتركوا اتباع من أمروا باتباعه.

وإنما كلفهم الله الإتيان ببرهان على دعواهم بخلاف المؤمنين فلم يرد قط أنه أسقط أتباعهم حتى يأتوا بالبرهان.

وكل من خالف الله ورسوله فلا برهان له أصلاً وإنما كلف الإتيان بالبرهان تبكيتا وتعجيزا.

وأما من اتبع الرسول فيما جاء به فقد اتبع الحق الذي أمر به وقامت البراهين على صحته، سواء علم هو بتوجيه ذلك البرهان أم لا.

وقول من قال منهم إن الله ذكر الاستدلال وأمر به مُسلَّم لكن هو فعل حسن مندوب لكل من أطاقه، وواجب على كل من لم تسكن نفسه إلى التصديق كما تقدم تقريره وبالله التوفيق.

وقال غيره قول من قال طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم ليس بمستقيم، لأنه ظن أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه في ذلك، وأن طريقة

الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، فجمع هذا القائل بين الجهل بطريقة السلف والدعوى في طريقة الخلف، وليس الأمر كما ظن، بل السلف في غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى، وفي غاية التعظيم له والخضوع لأمره والتسليم لمراده، وليس من سلك طريق الخلف واثقاً بأن الذي يتأوله هو المراد ولا يمكنه القطع بصحة تأويله.

قال القرطبي: هذا الذي عليه أئمة الفتوى ومن قبلهم من أئمة السلف، واحتج بعضهم بما تقدم من القول في أصل الفطرة وبما تواتر عن النبيّ ﷺ ثم الصحابة أنهم حكموا بإسلام من أسلم من جفاة العرب ممن كان يعبد الأوثان، فقبلوا منهم الإقرار بالشهادتين، والتزام أحكام الإسلام من غير إلزام بتعلم الأدلة، وإن كان كثير منهم إنما أسلم لوجود دليل ما، فأسلم بسبب وضوحه له، فالكثير منهم قد أسلموا طوعاً من غير تقدم استدلال، بل بمجرد ما كان عندهم من أخبار أهل الكتاب بأن نبياً سيبعث وينتصر على من خالفه، فلما ظهرت لهم العلامات في محمد ﷺ بادروا إلى الإسلام، وصدقوه في كل شيء قاله ودعاهم إليه من الصلاة والزكاة وغيرهما.

وقال أبو المظفر بن السمعاني أيضاً ما ملخصه: إن العقل لا يوجب شيئاً ولا يحرم شيئاً، ولا حظ له في شيء من ذلك، ولو لم يرد الشرع بحكم ما وجب على أحد شيء، لقوله تعالى {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} وقوله {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} وغير ذلك من الآيات. فمن زعم أن دعوة رسل الله عليهم الصلاة والسلام إنما كانت لبيان الفروع، لزمه أن يجعل العقل هو الداعي إلى الله دون الرسول ويلزمه أن وجود الرسول وعدمه بالنسبة إلى الدعاء إلى الله سواء، وكفى بهذا ضلالا. ونحن لا ننكر أن العقل يرشد إلى التوحيد وإنما ننكر أن يستقل بإيجاب ذلك حتى لا يصح إسلام إلا بطريقه.

ويؤيد كلامه ما أخرجه أبو داود عن ابن عباس «أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ أنشدك الله آلله أرسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى؟ قال: نعم. فأسلم» وأصله في الصحيحن في قصة ضمام بن ثعلبة.

وفي حديث ابن عباس من الفوائد غير ما تقدم الاقتصار في الحكم بإسلام الكافر إذا أقر بالشهادتين، فإن من لازم الإيمان بالله ورسوله التصديق بكل ما ثبت عنهما والتزام ذلك، فيحصل ذلك لمن صدق بالشهادتين.

وفيه أن الكافر إذا صدّق بشيء من أركان الإسلام كالصلاة مثلاً يصير بذلك مسلماً.

قوله (أتدري ما حق الله على العباد) تقدم شرحه مستوفى في «كتاب الرقاق»[(١)]

(١) كتاب الرقاق باب / ٣٧ ح ٦٥٠٠ - ٥ / ٤٨

ودخوله في هذا الباب من قوله لا تشركوا به شيئاً فإنه المراد بالتوحيد.

قوله (فيختم بقل هو الله أحد) قال ابن دقيق العيد هذا يدل على أنه كان يقرأ بغيرها ثم يقرأها في كل ركعة وهذا هو الظاهر، ويحتمل أن يكون المراد أنه يختم بها آخر قراءته فيختص بالركعة الأخيرة، وعلى الأول فيؤخذ منه جواز الجمع بين سورتين في ركعة انتهى.

وقد تقدم البحث في ذلك في الباب المذكور من «كتاب الصلاة»[1] بما يغني عن إعادته.

قوله (لأنها صفة الرحمن) قال ابن التين إنما قال إنها صفة الرحمن لأن فيها أسماءه وصفاته، وأسماؤه مشتقة من صفاته، وقال غيره: يحتمل أن يكون الصحابي المذكور قال ذلك مستنداً لشيء سمعه من النبي ﷺ إما بطريق النصوصية وإما بطريق الاستنباط، وقد أخرج البيهقي في «كتاب الأسماء والصفات» بسند حسن عن ابن عباس «أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا صف لنا ربك الذي تعبد، فأنزل الله عز وجل {قل هو الله أحد} إلى آخرها، فقال: «هذه صفة ربي عز وجل» وعن أبي بن كعب قال: قال المشركون للنبيِّ ﷺ أنسب لنا ربك، فنزلت الإخلاص الحديث، وهو عند ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» وصححه الحاكم.

وفي حديث الباب حجة لمن أثبت أن لله صفة وهو قول الجمهور.

قوله (أخبروه أن الله يحبه) قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون سبب محبة الله له محبته لهذه السورة ويحتمل أن يكون لما دل عليه كلامه لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده.

٢ ـ باب قول الله تباركَ وتعالى {قُل ادْعُوا اللهَ أو ادْعُوا الرَّحْمَنَ، أيًا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى} /الإسراء:١١٠/.

٧٣٧٦ ـ عن جَرير بن عبد الله قال: «قال رسولُ الله ﷺ: لا يَرحَمُ اللهُ مَن لا يَرحَم الناسَ».

٧٣٧٧ ـ عن أسامة بن زيدٍ قال: كنا عندَ النبيِّ ﷺ إذ جاءهُ رسولُ إحدَى بناتهِ تدعوه إلى ابنها في الموت، فقال النبيُّ ﷺ ارجع فأخبرْها أنّ لله ما أخذَ ولهُ ما أعطى، وكل شيءٍ عنده بأجل مسمًّى، فمرْها فلْتَصبْر ولتَحتَسبْ. فأعادتِ الرسولَ أنها قد أقسمت ليأتينَّها. فقامَ النبيُّ ﷺ وقام معهُ سعدُ بن عُبادةَ ومعاذُ بنُ جَبَل، فُدفع الصبيُّ إليه ونفسُهُ تقعْقع كأنها في شنّ. ففاضَت عيناهُ، فقال له سعدٌ: يا رسولَ الله ما هذا؟ قال: هذه رحمةٌ جَعلها اللهُ في قلوب عباده، وإنما يَرحمُ اللهُ من عِبادهِ الرحماءَ».

قوله (باب قول الله تبارك وتعالى: {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى}) ذكر فيه حديث جرير «لا يرحم الله من لا يرحم الناس» وقد تقدم شرحه

(١) كتاب الأذان باب / ١٠٦ ح ٧٧٤ - ١ / ٤٢٤

مستوفى في «كتاب الأدب»[١]، وحديث أسامة بن زيد في قصة ولد بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها».

وقد تقدم شرحه مستوفى في «كتاب الجنائز»[٢] قال ابن بطال: غرضه في هذا الباب إثبات الرحمة وهي من صفات الذات فالرحمن وَصْفٌ وَصَفَ الله تعالى به نفسه وهو متضمن لمعنى الرحمة كما تضمن وصفه بأنه عالم معنى العلم إلى غير ذلك.

وقال ابن التين: «الرحمن والرحيم» مشتقان من الرحمة.

٣ ـ باب قول الله تعالى:
{إِنَّ اللهَ هو الرَزَّاقُ ذو القُوَّةِ المَتِين} /الذاريات:٥٨/.

٧٣٧٨ ـ عن أبي موسى الأشعريِّ قال: قال النبيُّ ﷺ: «ما أَحَدٌ أصبَرُ على أذًى سمعَهُ منَ الله، يَدَّعونَ له الولد ثم يُعافيهم ويَرزُقهم».

قوله (ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله) الحديث تقدم شرحه في «كتاب الأدب»[٣] والغرض منه قوله هنا «ويرزقهم» وقوله «يدعون» قال ابن بطال: تضمن هذا الباب صفتين لله تعالى: صفة ذات، وصفة فعل، فالرزق فعل من أفعاله تعالى فهو من صفات فعله لأن رازقاً يقتضي مرزوقاً، والله سبحانه وتعالى كان ولا مرزوق وكل ما لم يكن ثم كان فهو محدث والله سبحانه موصوف بأنه الرزاق ووصف نفسه بذلك قبل خلق الخلق، بمعنى أنه سيرزق إذا خلق المرزوقين، والقوة من صفات الذات وهي بمعنى القدرة، ولم يزل سبحانه وتعالى ذا قوة وقدرة، ولم تزل قدرته موجودة قائمة به موجبة له حكم القادرين.

والمتين بمعنى القوي وهو في اللغة الثابت الصحيح وقال البيهقي: القوي التام القدرة لا ينسب إليه عجز في حالة من الأحوال، ويرجع معناه إلى القدرة والقادر، هو رد على من قال إنه قادر بنفسه لا بقدرة لأن القوة بمعنى القدرة، وقد قال تعالى {ذو القوة}.

قوله في الحديث «أصبر» أفعل تفضيل من الصبر ومن أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى: الصبور ومعناه الذي لا يعاجل العصاة بالعقوبة، وهو قريب من معنى الحليم، والحليم أبلغ في السلامة من العقوبة، والمراد بالأذى أذى رسله وصالحي عباده لاستحالة تعلق أذى المخلوقين به لكونه صفة نقص وهو منزه عن كل نقص، ولا يؤخر النقمة قهراً بل تفضلاً، وتكذيب الرسل في نفي الصحابة والولد عن الله أذى لهم، فأضيف الأذى لله تعالى للمبالغة في الإنكار عليهم والاستعظام لمقالتهم، ومنه قوله تعالى {إن الذين يؤذون الله

(١) كتاب الأدب باب / ٢٧ ح ٦٠١٣ - ٤ / ٤٣٤
(٢) كتاب الجنائز باب / ٣٢ ح ١٢٨٤ - ١ / ٦٤٦
(٣) كتاب الأدب باب / ٧١ ح ٦٠٩٩ - ٤ / ٤٧٠

ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة} فإن معناه يؤذون أولياء الله وأولياء رسوله، فأقيم المضاف مقام المضاف إليه، قال ابن المنير وجه مطابقة الآية للحديث اشتماله على صفتي الرزق والقوة الدالة على القدرة، أما الرزق فواضح من قوله {ويرزقهم} وأما القوة فمن قوله {أصبر} فإن فيه إشارة إلى القدرة على الإحسان إليهم مع إساءتهم، بخلاف طبع البشر فإنه لا يقدر على الإحسان إلى المسيء إلا من جهة تكلفه ذلك شرعاً، وسبب ذلك أن خوف الفوت يحمله على المسارعة إلى المكافأة بالعقوبة، والله سبحانه وتعالى قادر على ذلك حالاً ومآلا لا يعجزه شيء ولا يفوته.

٤ ـ باب قولِ الله تَعالى:

{عَالِمُ الغَيبِ فلا يُظهِرُ على غَيبه أحدا} /الجن:٢٦/

و{إنَّ اللهَ عِندَه عِلمُ الساعَة} /لقمان:٣٤/ و{أَنزَلَهُ بعلمه} /النساء:١٦٦/

{وما تحملُ من أُنثى ولا تَضَعُ إلا بعلمِه} /فاطر:١١/

{إليه يُرَدُّ عِلمُ الساعَة} /فصلت:٤٧/

قال يحيى: الظاهرُ على كلِّ شيءٍ علما، والباطنُ على كلِّ شيءٍ عِلما.

٧٣٧٩ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «مَفاتيحُ الغيبِ خَمسٌ لا يَعلمُها إلاّ الله: لا يَعلمُ ما تَغيضُ الأرحامُ إلا الله، ولا يَعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يَعلمُ مَتَى يَأتي المطرُ أحدٌ إلا الله، ولا تَدرِي نفسٌ بأيِّ أرضٍ تَموتُ إلا الله، ولا يَعلَمُ متى تَقومُ الساعةُ إلا الله».

٧٣٨٠ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من حدَّثك أنَّ محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذَب، وهو يقول {لا تُدرِكُهُ الأبصَارُ} ومن حدَّثك أنهُ يَعلمُ الغَيبَ فَقَد كَذَب، وهو يَقول {لا يَعلَمُ الغيبَ إلا الله}».

قوله (باب قول الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، وإن الله عنده علم الساعة- وأنزله بعلمه- وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه - إليه يرد علم الساعة) أما الآية الثانية فمضى الكلام عليها في تفسير سورة لقمان[١] عند شرح حديث ابن عمر المذكور هنا.

وأما الآية الخامسة فقال الطبري معناها: لا يعلم متى وقت قيامها غيره فعلى هذا فالتقدير إليه يرد علم وقت الساعة، قال ابن بطال: في هذه الآيات إثبات علم الله تعالى وهو من صفات ذاته، خلافاً لمن قال إنه عالم بلا علم، ثم إذا ثبت أن علمه قديم وجب تعلقه

(١) كتاب التفسير "لقمان" باب / ٢ ح ٤٧٧٨ - ٣ / ٦٤٥

بكل معلوم على حقيقته بدلالة هذه الآيات، وبهذا التقرير يرد عليهم في القدرة والقوة والحياة وغيرها.

وقال البيهقي: بعد أن ذكر الآيات المذكورة في الباب وغيرها مما هو في معناها، كان أبو اسحق الأسفرايني يقول: معنى العلم المعلومات ومعنى الخبير يعلم ما كان قبل أن يكون؛ ومعنى الشهيد يعلم الغائب كما يعلم الحاضر ومعنى المحصى لا تشغله الكثرة عن العلم، وساق عن ابن عباس في قوله تعالى {يعلم السر وأخفى} قال يعلم ما أسر العبد في نفسه وما أخفى عنه مما سيفعله قبل أن يفعله ومن وجه آخر عن ابن عباس قال: يعلم السر الذي في نفسك ويعلم ما ستعمل غدا.

قوله (قال يحيى الظاهر على كل شيء علماً والباطن على كل شيء علما} «يحيى» هذا هو ابن زياد الفراء النحوي المشهور ذكر ذلك في «كتاب معاني القرآن» له، وقال غيره: معنى الظاهر الباطن العالم بظواهر الأشياء وبواطنها، وقيل الظاهر بالأدلة الباطن بذاته، وقيل الظاهر بالعقل الباطن بالحس، وقيل معنى الظاهر العالي على كل شيء لأن من غلب على شيء ظهر عليه وعلاه، والباطن الذي بطن في كل شيء أي علم باطنه وشمل قوله أي كل شيء علم ما كان وما سيكون على سبيل الإجمال والتفصيل، لأن خالق المخلوقات كلها بالاختيار متصف بالعلم بهم والاقتدار عليهم.

وقد تقدم في تفسير سورة النجم[١] من طريق وكيع عن إسماعيل بلفظ «ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب» ثم قرأتْ {وما تدري نفس ماذا تكسب غدا} وذكر هذه الآية أنسب في هذا الباب لموافقته حديث ابن عمر الذي قبله لكنه جرى على عادته التي أكثر منها من اختيار الإشارة على صريح العبارة، وتقدم شرح ما يتعلق بالرؤية في تفسير سورة النجم، وما يتعلق بعلم الغيب في تفسير سورة لقمان[٢].

ونقل ابن التين عن الداودي قال قوله في هذا الطريق «من حدثك أن محمداً يعلم الغيب» ما أظنه محفوظاً وما أحد يدعي أن رسول الله ﷺ كان يعلم من الغيب إلا ما علم، انتهى.

وليس في الطريق المذكورة هنا التصريح بذكر محمد ﷺ وإنما وقع فيه بلفظ «من حدثك أنه يعلم» وأظنه بني على أن الضمير في قول عائشة «من حدثك» أنه لمحمد ﷺ لتقدم ذكره في الذي قبله حيث قالت «من حدثك أن محمداً رأى ربه» ثم قالت «ومن حدثك أنه يعلم ما في غد» ويعكر عليه أنه وقع في رواية إبراهيم النخعي عن مسروق عن عائشة قالت: «ثلاث من قال واحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية: من زعم أنه يعلم مافي غد» الحديث

(١) كتاب التفسير "النجم" باب / ١ ح ٤٨٥٥ - ٣ / ٦٩٦
(٢) كتاب التفسير "لقمان" باب / ٢ ح ٤٧٧٨ - ٣/ ٦٤٥

أخرجه النسائي وظاهر هذا السياق أن الضمير للزاعم، ولكن ورد التصريح بأنه لمحمد ﷺ فيما أخرجه ابن خزيمة وابن حبان عن الشعبي بلفظ «أعظم الفرية على الله من قال أن محمداً رأى ربه، وأن محمداً كتم شيئاً من الوحي، وأن محمداً يعلم مافي غد» وهو عند مسلم وسياقه أتم، ولكن قال فيه «ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد» هكذا بالضمير، كما في رواية اسماعيل معطوفاً على «من زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً» وما ادعاه من النفي متعقب، فإن بعض من لم يرسخ في الإيمان كان يظن ذلك حتى كان يرى أن صحة النبوة تستلزم اطلاع النبي ﷺ على جميع المغيبات، كما وقع في المغازي لابن اسحق أن ناقة النبي ﷺ ضلت، فقال زيد بن اللصيت: يزعم محمد أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فقال النبي ﷺ: «إن رجلاً يقول كذا وكذا، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها وهي في شعب كذا قد حبستها شجرة، فذهبوا فجاءوه بها» فأعلم النبي ﷺ أنه لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، وهو مطابق لقوله تعالى: {فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول} الآية، وقد اختلف في المراد بالغيب فيها فقيل هو على عمومه، وقيل ما يتعلق بالوحي خاصة، وقيل ما يتعلق بعلم الساعة وهو ضعيف لما تقدم في تفسير لقمان، أن علم الساعة مما استأثر الله بعلمه.

٥ - باب قولِ الله تعالى {السلامُ المؤمنُ} /الحشر:٢٣/.

٧٣٨١ - عن شَقيق بن سلمةَ قال: «قال عبدُ الله: كنا نصلي خلفَ النبيِّ ﷺ فنقول: السلامُ على الله، فقال النبيُّ ﷺ: إنَّ اللهَ هو السلام، ولكن قولوا: التحياتُ لله والصلوات والطيباتُ، السلامُ عليكَ أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاته، السلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصالحين، أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله».

قوله (باب قول الله تعالى {السلام المؤمن}) كذا للجميع وزاد ابن بطال المهيمن.

وقال أهل العلم معنى السلام في حقه سبحانه وتعالى الذي سلم المؤمنون من عقوبته وكذا في تفسير المؤمن الذي أمن المؤمنون من عقوبته وقيل السلام من سلم من كل نقص وبرئ من كل آفة وعيب فهي صفة سلبية وقيل المسلِّم على عباده لقوله {سلام قولاً من رب رحيم} فهي صفة كلامية وقيل الذي سلم الخلق من ظلمه وقيل منه السلامة لعباده فهي صفة فعلية وقيل المؤمن الذي صدق نفسه وصدق أولياءه وتصديقه علمه بأنه صادق وأنهم صادقون وقيل الموحد لنفسه وقيل خالق الأمن وقيل واهب الأمن، وقيل خالق الطمأنينة في القلوب.

ونقل البيهقي عن الحليمي أن المهيمن معناه الذي لا ينقصُ الطائعَ من ثوابه شيئاً ولو كثر، ولا يزيد العاصي عقاباً على ما يستحقه لأنه لا يجوز عليه الكذب، وقد سمى الثواب

والعقاب جزاء وله أن يتفضل بزيادة الثواب ويعفو عن كثير من العقاب قال البيهقي: هذا شرح قول أهل التفسير في المهيمن أنه الأمين، ثم ساق من طريق التيمي عن ابن عباس في قوله «مهيمنا عليه» قال مؤتمنا ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: المهيمن الأمين، ومن طريق مجاهد قال: المهيمن الشاهد، وقيل: المهيمن الرقيب على الشيء والحافظ له.

٦ ـ باب قول الله تعالى {ملكِ الناس} /الناس:٢/

فيه ابنُ عمرَ عن النبيِّ ﷺ

٧٣٨٢ ـ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺقال: يَقبِضُ اللهُ الأرضَ يوم القيامةِ ويطوى السماء بيمينهِ ثم يقول: أنا الملكُ، أينَ ملوكُ الأرض؟».

قوله (باب قول الله تعالى ملك الناس) قال البيهقي: الملك والمالك هو الخاص الملك، ومعناه في حق الله تعالى القادر على الإيجاد، وهي صفة يستحقها لذاته، وقال الراغب: الملك المتصف بالأمر والنهي وذلك يختص بالناطقين، ولهذا قال {ملك الناس} ولم يقل ملك الأشياء، قال: وأما قوله «ملك يوم الدين» فتقديره الملك في يوم الدين، لقوله {لمن الملك اليوم} انتهى.

قال ابن بطال: قوله تعالى {ملك الناس} داخل في معنى التحيات لله أي الملك لله، وكأنه ﷺ أمرهم بأن يقولوا التحيات لله امتثالاً لأمر ربه {قل أعوذ برب الناس ملك الناس} ووصْفُه بأنه {ملك الناس} يحتمل وجهين، أحدهما أن يكون بمعنى القدرة فيكون صفة ذات، وأن يكون بمعنى القهر والصرف عما يريدون فيكون صفة فعل، قال: وفي الحديث إثبات اليمين صفة لله تعالى من صفات ذاته وليست جارحة خلافا للمجسمة(١)، انتهى ملخصًا.

٧ ـ باب قول الله تعالى
{وهو العزيزُ الحكيم -سبحانَ ربِّك ربِّ العِزَّةِ عما يصفون} /الصافات:١٨٠/ {ولله العزَّةُ ولرسوله} /المنافقون:٨/ ومن حَلَفَ بعِزَّةِ الله وصفاته.

وقال أنسٌ قال النبيُّ ﷺ: «تقول جهنمُ: قَط قَط وعزَّتك»، وقال أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ «يبقى رجلٌ بينَ الجنة والنار، وهو آخرُ أهل النارِ دخولاً الجنة فيقول: رب اصرفْ وجهي عن النار، لا وعزَّتك لا أسألكَ غيرَها» قال أبو سعيد إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: لك ذلك وعشرةُ أمثاله» وقال أيوب: وعزَّتك لا غنى لي عن بَركتك.

(١) قوله "خلافاً للمجسمة" إن كان يعني به المثبتين للصفة فقوله مردود وغير صحيح، لأنه منافٍ للواقع فليس أحدٌ من السلف الصالح وأئمة المسلمين الذين يؤخذ عنهم قال إن الله جسم أو أن لله جارحةً تعالى الله عن ذلك، ولكن نثبت صفة اليمين لله تعالى دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه.

٧٣٨٣ ـ عن ابن عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول: أعوذُ بعزَّتك الذي لا إلهَ إلا أنتَ الذي لا يموتُ والجنُّ والإنسُ يموتون».

٧٣٨٤ ـ عن أنس عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يزالُ يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدَمه فينزوي بعضها إلى بعضٍ ثم تقول: قَدْ قَدْ، بعزَّتك وكرمك. ولا تزالُ الجنة تفضلُ حتى يُنشيء اللهُ لها خلقاً فيُسكنهم فَضلَ الجنة».

قال ابن بطال: العزيز يتضمن العزة والعزة يحتمل أن تكون صفة ذات بمعنى القدرة والعظمة، وأن تكون صفة فعل بمعنى القهر لمخلوقاته والغلبة لهم ولذلك صحت إضافة اسمه إليها، قال ويظهر الفرق بين الحالف بعزة الله التي هي صفة ذاته والحالف بعزة الله التي صفة فعله، بأنه يحنث في الأولى دون الثانية، بل هو منهي عن الحلف بها كما نهى عن الحلف بحق السماء وحق زيد، قلت: وإذا أطلق الحالف انصرف إلى صفة الذات وانعقدت اليمين إلا إن قصد خلاف ذلك بدليل أحاديث الباب: وقال الراغب: العزيز الذي يَقهر ولا يُقهر، فإن العزة التي لله هي الدائمة الباقية وهي العزة الحقيقية الممدوحة وقد تستعارالعزة للحمية والأنفة فيوصف بها الكافر والفاسق وهي صفة مذمومة، ومنه قوله تعالي {أخذته العزة بالإثم} وأما قوله تعالى {من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً} فمعناه من كان يريد أن يعز فليكتسب العزة من الله فإنها له ولا تنال إلا بطاعته ومن ثم أثبتها لرسوله وللمؤمنين فقال: في الآية الأخرى {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين}، وقد ترد العزة بمعنى الصعوبة كقوله تعالى {عزيز عليه ما عنتم} وبمعنى الغلبة، ومنه «وعزَّني في الخطاب».

وقال البيهقي: العزة تكون بمعنى القوة فترجع إلى معنى القدرة، ثم ذكر نحوا مما ذكره ابن بطال، والذي يظهر أن مراد البخاري بالترجمة إثبات العزة لله رداً على من قال إنه العزيز بلا عزة، كما قالوا: العليم بلا علم.

قوله (وقال أنس قال النبيُّ ﷺ تقول جهنم قط قط[١] وعزتك) هذا طرف من حديث تقدم موصولاً في تفسير سورة «ق»[٢] مع شرحه.

والمراد منه أن النبيَّ ﷺ نقل عن جهنم أنها تحلف بعزة الله وأقرها على ذلك، فيحصل المراد سواء كانت هي الناطقة حقيقة أم الناطق غيرها كالموكلين بها.

قوله (وقال أبو هريرة الخ) هو طرف من حديث طويل تقدم مع شرحه في آخر «كتاب الرقاق»[٣].

قوله (وقال أيوب عليه السلام[٤] وعزتك لا غنى بي عن بركتك) وهو طرف من حديث

(١) رواية الباب واليونينية "قد قد"
(٢) كتاب التفسير (ق) باب ١ ح ٤٨٤٨- ٣ / ٦٩١
(٣) كتاب الرقاق باب / ٥٢ ح ٦٥٧٣ - ٥ / ٨٧
(٤) في الباب واليونينية "وقال أيوب" بدون قوله "عليه السلام"

لأبي هريرة وقد تقدم موصولاً في «كتاب الطهارة»[١] وأوله «بينا أيوب يغتسل» وتقدم أيضاً في أحاديث الأنبياء مع شرحه.

قوله (والجن والإنس يموتون) استدل به على أن الملائكة لا تموت ولاحجة فيه لأنه مفهوم لقب ولا اعتبار له، وعلى تقديره فيعارضه ما هو أقوى منه، وهو عموم قوله تعالى {كل شيء هالك إلا وجهه} مع أنه لا مانع من دخولهم في مسمى الجن لجامع ما بينهم من الاستتار عن عيون الإنس، وقد تقدمت بقية الكلام عليه في الدعوات وفي الأيمان والنذور[٢] في الباب المشار إليه منه.

٨ ـ باب قول الله تعالى:
{وهو الذي خَلَق السماواتِ والأرضَ بالحقِّ} /الأنعام:٧٣/.

٧٣٨٥ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: كانَ النبيُّ ﷺ يَدعو منَ الليل: اللهمَّ لكَ الحمدُ، وأنتَ ربُّ السماواتِ والأرضِ، لك الحمد أنت قَيِّمُ السماواتِ والأرض ومن فيهن، لك الحمد، أنتَ نورُ السماواتِ والأرض، قولُكَ الحقُّ، ووَعدُك الحقُّ، ولِقاؤكَ حقٌّ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والساعة حقٌّ، اللهمَّ لك أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وعليكَ توكلت، وإليك أنَبْتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ وأسرَرْتُ وأعلنت، أنتَ إلهي لا إلهَ لي غيرك».

قوله (باب قول الله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق) كأنه أشار بهذه الترجمة إلى ما ورد في تفسير هذه الآية أن معنى قوله {بالحق} أي بكلمة الحق وهو قوله {كن} ووقع في أول حديث الباب قولك الحق، فكأنه أشار إلى أن المراد بالقول الكلمة، وهي كن والله أعلم.

وقال ابن بطال: المراد بالحق هنا ضد الهزل، والمراد بالحق في الأسماء الحسنى الموجود الثابت الذي لا يزول ولا يتغير، وقال الراغب: الحق في الأسماء الحسنى الموجود بحسب ما تقتضيه الحكمة، قال: ويقال لكل موجود من فعله بمقتضى الحكمة حق.

ونقل البيهقي في «كتاب الأسماء والصفات» عن الحليمي قال: الحق ما لا يسيغ إنكاره ويلزم إثباته والاعتراف به ووجود الباري أولى ما يجب الاعتراف به، ولايسيغ جحوده إذ لا مثبت تظاهرت عليه البينة الباهرة ما تظاهرت على وجوده سبحانه وتعالى، وذكر البخاري فيه حديث ابن عباس في الدعاء عند قيام الليل وفيه «اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض» وقد تقدم شرحه وبيان اختلاف ألفاظه في «كتاب التهجد»[٣].

(١) كتاب الغسل باب / ٢٠ ح ٢٧٩ - ١ / ٢٠١
(٢) كتاب الأيمان والنذور باب / ١٢ ح؟! - ٥ / ١٢٨
(٣) كتاب التهجد باب / ١ ح ١١٢٠ - ١ / ٥٧١

قال ابن بطال: قوله «رب السموات والأرض» يعني خالق السموات والأرض وقوله «بالحق» أي أنشأهما بحق، وهو كقوله تعالى {ربنا ما خلقت هذا باطلا} أي عبثا.

٩ ـ باب {وكان اللهُ سميعاً بصيرا} /النساء:١٣٤/

قال الأعمشُ عن تميم عن عُروةَ «عن عائشة قالت: الحمدُ لله الذي وسِعَ سمعه الأصوات، فأنزلَ الله تعالى على النبيِّ ﷺ{ قد سمعَ الله قول التي تُجادِلُكَ في زَوجها} /المجادلة:١/.

٧٣٨٦ ـ عن أبي موسى قال: كنّا مع النبيِّ ﷺ في سفرٍ، فكنّا إذا علونا كبرنا، فقال: اربعوا على أنفسِكم، فإنكم لا تَدْعون أصمَّ ولا غائباً تدْعون سميعاً بَصيراً قَريبا. ثمَّ أتى عليَّ وأنا أقولُ في نفسي: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله، فقال لي: يا عبدَ الله بن قيس، قل لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، فإنها كنزٌ من كنوز الجنة، أو قال: ألا أدُلّكَ به».

٧٣٨٧، ٧٣٨٨ ـ عن عبدِ الله بن عمرو أنَّ أبا بكرٍ الصديق رضيَ الله عنه قال للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله علمني دُعاءً أدعو به في صلاتي قال قل: اللهمَّ إني ظلمتُ نفسي ظلماً كثيرا، ولا يَغفرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ، فاغفرْ لي من عندكِ مغفرةً، إنكَ أنتَ الغفور الرَّحيم».

٧٣٨٩ ـ عن عروة «أن عائشة رضيَ اللهُ عنها حدَّثته قال النبيُّ ﷺ: إنَّ جبريلَ عليه السلامُ ناداني قال: إنَّ الله قد سمعَ قول قومكَ وما رَدُّوا عليك».

قوله (باب: وكان الله سميعاً بصيرا) قال ابن بطال: غرض البخاري في هذا الباب الرد على من قال إن معنى «سميع بصير» عليم قال ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتاً ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر، فصح أن كونه سميعاً بصيرا يفيد قدراً زائداً على كونه عليما، وكونه سميعا بصيرا يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر، كما تضمن كونه عليماً أنه يعلم بعلم ولا فرق بين إثبات كونه سميعاً بصيرا وبين كونه ذا سمع وبصر، قال وهذا قول أهل السنة قاطبة، انتهى.

وقال البيهقي في الأسماء والصفات: السميع من له سمع يدرك به المسموعات، والبصير من له بصر يدرك به المرئيات، وكل منهما في حق الباري صفة قائمة بذاته، وقد أفادت الآية وأحاديث الباب الرد على من زعم أنه سميع بصير، بمعنى عليم، ثم ساق حديث أبي هريرة الذي أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم من رواية أبي يونس «عن أبي هريرة رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها» يعني قوله تعالى {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - إلى قوله تعالى- إن الله كان سميعاً بصيرا} ويضع إصبعيه قال أبو يونس وضع أبو هريرة إبهامه علي أذنه والتي تليها على عينه، قال البيهقي وأراد بهذه الإشارة تحقيق

إثبات السمع والبصر لله ببيان محلهما من الإنسان، يريد أن له سمعاً وبصراً لا أن المراد به العلم فلو كان كذلك لأشار إلى القلب لأنه محل العلم.

الحديث الثالث: حديث عبد الله بن عمرو أن أبا بكر يعني الصديق قال: «يارسول الله علمني دعاء» الحديث وقد تقدم في أواخر صفة الصلاة[١] وفي الدعوات مع شرحه.

وأشار ابن بطال إلى أن مناسبته للترجمة أن دعاء أبي بكر لما علمه النبيُّ ﷺ يقتضي أن الله سميع لدعائه ومجازيه عليه.

١٠ ـ باب قولِ الله تعالى {قُلْ هوَ القادر} /الأنعام:٦٥/.

٧٣٩٠ ـ عن جابر بن عبد الله السلمي قال: كان رسولُ الله ﷺ يُعلِّمُ أصحابه الاستخارةَ في الأمورِ كلِّها كما يُعَلِّمُ السورةَ من القُرآنِ يقول: إذا همَّ أحدكم بالأمرِ فلْيَركعْ ركعتين من غير الفريضةِ ثم ليَقل، اللهم إني أستخيركَ بعلمك، وأستَقدِركَ بقدرتك، وأسألك من فضلك، فإنكَ تَقدِر ولا أقدِر، وتعلم ولا أعلم، وأنتَ علام الغيوب. اللهم فإن كنتَ تَعلم هذا الأمرَ -ثم يسمِّيه بعينهِ- خيراً لي في عاجلِ أمري وآجلهِ -قال: أو في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري- فاقدُرْه لي ويَسِّره لي ثم باركْ لي فيه، اللهم إن كنتَ تَعلم أنه شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري -أو قال: في عاجلِ أمري وآجلهِ- فاصرِفني عنه واقدُرْ لي الخيرَ حيث كان ثُمَّ رضِّني به».

قوله (باب قول الله تعالى قل هو القادر) قال ابن بطال: القدرة من صفات الذات وقد تقدم في باب قوله تعالى {إني أنا الرزاق} أن القوة والقدرة بمعنى واحد وتقدم نقل الأقوال في ذلك والبحث فيها[٢].

وقوله في الخبر «وأستقدرك بقدرتك الباء للاستعانة أو للقسم أو للاستعطاف، ومعناه أطلب منك أن تجعل لي قدرة على المطلوب، وقوله «فاقْدُره»أي نجزه لي «ورضِّني» أي اجعلني بذلك راضياً فلا أندم على طلبه ولا على وقوعه لأني لا أعلم عاقبته وإن كنت حال طلبه راضياً به.

وقوله «ثم ليقل» ظاهر في أن الدعاء المذكور يكون بعد الفراغ من الصلاة ويحتمل أن يكون الترتيب فيه بالنسبة لأذكار الصلاة ودعائها فيقوله بعد الفراغ وقبل السلام، وقد تقدم سائر فوائده في «كتاب الدعوات»[٣].

---

(١) كتاب الأذان باب / ١٤٩ ح ٨٣٤ - ١ / ٤٤٦

(٢) كتاب التوحيد باب / ٣ ح ٧٣٧٨ - ٥ / ٥٤٢

(٣) كتاب الدعوات باب / ٤٨ ح ٦٣٨٢ - ٤ / ٦٠٠

١١ ـ باب مقلّبِ القلوب

وقولِ اللهِ تعالى {ونُقلّب أفئدَتَهم وأبصارَهم} /الأنعام:١١٠/

٧٣٩١ ـ عن عبدِ الله قال: أكثر ما كان النبيُّ ﷺ يَحلف: لا ومقلّبِ القلوب».

قوله (باب مقلب القلوب وقول الله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) قال الراغب: تقليب الشيء تغييره من حال إلى حال والتقليب التصرف وتقليب الله القلوب والبصائر صرفها من رأي إلى رأي.

وقد تقدم شرح حديث ابن عمر المذكور في هذا الباب في «كتاب الأيمان والنذور» وكذا الآية ويستفاد منهما أن أعراض القلوب من إرادة وغيرها تقع بخلق الله تعالى، وفيه حجة لمن أجاز تسمية الله تعالى بما ثبت في الخبر، ولو لم يتواتر، وجواز اشتقاق الاسم له تعالى من الفعل الثابت، وقد تقدم البحث في ذلك عند ذكر الأسماء الحسنى من «كتاب الدعوات»[1] ومعنى قوله {ونقلب أفئدتهم} نصرفها بما شئنا كما تقدم تقريره.

وقال البيضاوي في نسبة تقلب القلوب إلى الله إشعار بأنه يتولى قلوب عباده ولا يكلها إلى أحد من خلقه، وفي دعائه ﷺ «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» إشارة إلى شمول ذلك للعباد حتى الأنبياء ورفع من يتوهم أنهم يستثنون من ذلك، وخص نفسه بالذكر إعلاماً بأن نفسه الزكية إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله سبحانه فافتقار غيرها ممن هو دونه أحق بذلك.

١٢ ـ باب إن للهِ مائةَ اسم إلا واحدة

قال ابن عباس: {ذو الجَلالِ} /الرحمن:٢٧/: العظمةِ، {البرُّ} /الرحمن:٢٨/: اللطيف

٧٣٩٢ ـ عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخلَ الجنّة».

قوله (باب إن لله مائة اسم إلا واحدة) ذكر فيه حديث أبي هريرة أن لله تسعة وتسعين اسماً، وقد تقدم شرحه في «كتاب الدعوات»[2].

قوله (أحصيناه حفظناه) قال الأصيلي: الإحصاء للأسماء العمل بها لا عدها وحفظها، لأن ذلك قد يقع للكافر المنافق كما في حديث الخوارج يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم، وقال ابن بطال الإحصاء يقع بالقول ويقع بالعمل فالذي بالعمل أن لله أسماء يختص بها كالأحد والمتعال والقدير ونحوها، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها؛ وله أسماء يستحب الاقتداء

(١) كتاب الدعوات باب / ٦٨ ح ٦٤١٠ - ٤ / ٦١٣
(٢) كتاب الدعوات باب / ٦٨ ح ٦٤١٠ - ٤ / ٦١٣

بها في معانيها: كالرحيم والكريم والعفُوّ ونحوها، فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها ليؤدي حق العمل بها فبهذا يحصل الإحصاء العملي، وأما الإحصاء القولي فيحصل بجمعها وحفظها والسؤال بها ولو شارك المؤمن غيره في العد والحفظ، فإن المؤمن يمتاز عنه بالإيمان والعمل بها.

١٣ ـ باب السُّؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذَة بها

٧٣٩٣ ـ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قالَ: إذا جاء أحدكم فِراشَه فلْيَنفضه بصنفةِ ثوبه ثلاثَ مراتٍ وليَقلْ: باسمكَ ربي وَضعتُ جَنبي وبكَ أرفعهُ، إن أمسكتَ نفسي فاغفرْ لها، وإن أرسلْتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

٧٣٩٤ ـ عن حذيفة قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أوَى إلى فِراشه قال: اللهمَّ باسمكَ أحيا وأموتُ. وإذا أصبحَ قال: الحمدُ للهِ الذي أحيانا بعدَ ما أماتَنا وإليه النُّشور».

٧٣٩٥ ـ عن أبي ذرٍ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أخذَ مَضْجَعه منَ الليلِ قال: باسمِكَ نموتُ ونحيا، فإذا استيقظ قال: الحمدُ لله الذي أحيانا بعدَ ما أماتَنا وإليه النُّشور».

٧٣٩٦ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: لو أنَّ أحدكم إذا أراد أن يأتيَ أهلهُ فقال: بسم الله، اللهمَّ جَنِّبْنا الشيطانَ وجنِّبِ الشيطانَ ما رَزَقتَنا. فإنه إن يُقدَّرْ. بينهما ولدٌ في ذلك لم يَضرَّهُ شيطانٌ أبداً».

٧٣٨٩ ـ عن عديٍّ بن حاتم قال: سألتُ النبيَّ ﷺ قلت: أُرسِلُ كِلابي المعلمةَ؟ قال: إذا أرسلتَ كلابك المعلمةَ وذكرتَ اسمَ الله فأمسَكنَ فكل، وإذا رميتَ بالمِعراضِ فخزَقَ فكل».

٧٣٩٨ ـ عن عائشةَ قالت: قالوا يا رسولَ الله إن هنا أقواماً حديثاً عهدُهم بشِرك يأتونا بلُحْمانٍ لا ندري يذكرونَ اسمَ الله عليها أم لا، قال: اذكروا أنتم اسمَ الله وكلوا».

٧٣٩٩ ـ عن أنسٍ قال ضحَّى النبيُّ ﷺ بكبشَين يُسمي ويكَبِّرُ».

٧٤٠٠ ـ عن جُندَب أنه شهدَ النبيَّ ﷺ يومَ النحرِ صلى ثم خَطَب فقال: من ذَبحَ قبلَ أن يُصلِّيَ فليَذبحْ مكانها أخرى، ومَنَ لم يَذبَحْ فلْيَذبح باسم الله».

٧٤٠١ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ: لا تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليَحلفْ بالله».

قوله (باب السؤال بأسماء الله[١] والاستعاذة بها) قال ابن بطال: مقصوده بهذه الترجمة تصحيح القول بأن الاسم هو المسمى، فلذلك صحت الاستعاذة بالاسم كما تصح بالذات.

---

(١) في المتن واليونينية "بأسماء الله تعالى " واليونينية بدون التبويب"

وذكر في الباب تسعة أحاديث كلها في التبرك باسم الله والسؤال به والاستعاذة. الحديث الأول: حديث أبي هريرة في القول عند النوم وقد تقدم شرحه مستوفى في الدعوات[(١)] وفيه «باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه» قال ابن بطال: أضاف الوضع إلى الاسم، والرفع إلى الذات فدل على أن المراد بالاسم الذات وبالذات يستعان في الرفع والوضع لا باللفظ.

قوله (فلينفضه بصنفة ثوبه) الصنفة: قال في النهاية: طرفه: الذي يلي طرته.

قلت: وتقدم في الدعوات بلفظ «داخلة إزاره» وتقدم هناك معناها، فالأولى هنا أن يقال المراد طرفه الذي من الداخل جمعاً بين الروايتين.

١٤ ـ باب ما يُذكرُ في الذاتِ والنُّعوتِ وأسامي الله عز وجل

وقال خُبيب: وذلك في ذاتِ الإله» فذكر الذاتَ باسمهِ تعالى

٧٤٠٢ ـ عن أبي هريرةَ قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ عشرةً منهم خبيبُ الأنصاريُّ فأخبرني عبيدُ اللهِ بن عياض أنَّ ابنةَ الحارثِ أخبرَته أنهم حينَ اجتمعوا استعارَ منها موسى يستحدُّ بها، فلما خَرجوا من الحرَم ليقتلوه قال خُبَيبُ الأنصاريُّ:

ولستُ أبالي حينَ أُقتَلُ مسلماً … على أيِّ شِقٍ كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإلهِ وإنْ يَشـا … يُبارك على أوصالِ شِلوٍ مُمزَّعِ

فقتله ابنُ الحارث، فأخبرَ النبيُّ ﷺ أصحابهُ خَبرَهم يومَ أُصيبوا».

قوله (باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل) أي ما يذكر في ذات الله ونعوته من تجويز إطلاق ذلك كأسمائه، أو منعه لعدم ورود النص.

قوله (وذلك في ذات الإله) تقدم شرحه مستوفى في المغازي[(٢)]، وتقدم في «كتاب الجهاد» في باب هل يستأسر الرجل.

قوله (فذكر الذات باسمه تعالى) أي ذكر الذات متلبساً باسم الله، أو ذكر حقيقة الله بلفظ الذات قاله الكرماني.

قلت: وظاهر لفظه أن مراده أضاف لفظ الذات إلى اسم الله تعالى، وسمعه النبيُّ ﷺ فلم ينكره فكان جائزاً، وقال الكرماني: «قيل ليس فيه» يعني قوله ذات الإله دلالة على الترجمة لأنه لم يرد بالذات الحقيقة التي هي مراد البخاري وإنما مراده وذلك في طاعة الله أو في سبيل الله، وقد يجاب بأن غرضه جواز إطلاق الذات في الجملة انتهى.

فالذي يظهر أن المراد جواز إطلاق لفظ ذات لا بالمعنى الذي أحدثه المتكلمون ولكنه غير

(١) كتاب الدعوات باب / ١٣ ح ٦٣٢٠ - ٤ / ٥٧٧
(٢) كتاب المغازي باب / ٢٨ ح ٤٠٨٦ - ٣ / ٣٠٧

مردود إذا عرف أن المراد به النفس لثبوت لفظ النفس في الكتاب العزيز، ولهذه النكتة عقب المصنف بترجمة النفس، وسيأتي.

١٥ ـ باب: قولُ الله تعالى {ويحذِّركم الله نفسَه} /آل عمران:٢٨/.

وقوله جلَّ ذِكرُهُ {تعلمُ مافي نفسي ولا أعلم ما في نفسك} /المائدة:١١٦/.

٧٤٠٣ ـ عن عبدِ الله عن النبيِّ ﷺ قال: ما من أحدٍ أغيَرُ من الله، مِن أجلِ ذلك حَرَّمَ الفَواحشَ. وماأحدٌ أحبُّ إليه المدحُ مِنَ الله».

٧٤٠٤ ـ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: لما خَلقَ الله الخلقَ كتب في كتابهِ -وهو يَكتب على نفسه وهو وضعٌ عندَه على العرش -إنَّ رحمتي تَغلِبُ غضبي».

٧٤٠٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: يقولُ الله تعالى: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرَني في مَلأٍ ذكرته في مَلأٍ خيرٍ منهم، وإن تَقرَّبَ إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً؛ وإن تقرب إليَّ ذِراعاً تقرَّبتُ إليه باعاً، وإن أتاني يَمشي أتيته هَرْوَلَة».

[الحديث ٧٤٠٥ - طرفاه في: ٧٥٠٥، ٧٥٣٧]

وترجم البيهقي في الأسماء والصفات النفس وذكر هاتين الآيتين، وقوله تعالى {كتب ربكم على نفسه الرحمة} وقوله تعالى {واصطنعتك لنفسي} ومن الأحاديث الحديث الذي فيه« أنت كما أثنيت على نفسك» والحديث الذي فيه «إني حرمت الظلم على نفسي» وهما في صحيح مسلم. قلت: وفيه أيضاً الحديث الذي فيه «سبحان الله رضا نفسه» ثم قال: والنفس في كلام العرب على أوجه منها الحقيقة كما يقولون في نفس الأمر. ومنها الذات قال وقد قيل في قوله تعالى {تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك} أن معناه تعلم ما أكنه وما أسره ولا أعلم ما تسره عني.

قال ابن بطال: في هذه الآيات والأحاديث إثبات النفس لله.

وأما قوله «أغْير من الله» فسبق الكلام عليه في «كتاب الكسوف» وقيل غيرة الله كراهة إتيان الفواحش(١).

قوله (يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي) أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به، وقال الكرماني وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف وكأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد وهو جانب الخوف لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء، وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر

---

(١) سبق التعليق على مثل هذا القول في باب الغيرة من كتاب النكاح فالصواب اثبات صفة الغيرة لله تعالى من غير تأويل ولا تمثيل بغيرة المغلوبين.

ويؤيد ذلك حديث «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» وهو عند مسلم من حديث جابر.

وأما قبل ذلك ففي الأول أقوال ثالثها الاعتدال وقال ابن أبي جمرة المراد بالظن هنا العلم وهو كقوله «وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه» وقال القرطبي في المفهم: قيل معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكاً بصادق وعده، قال ويؤيده قوله في الحديث الآخر ادعوا وأنتم موقنون بالإجابة قال ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن كما في بعض طرق الحديث المذكور «فليظن بي عبدي ما شاء» قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة وهو يجر إلى مذهب المرجئة.

قوله (وأنا معه إذا ذكرني) أي بعلمي وهو كقوله {إنني معكما أسمع وأرى}.

قوله (فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي) أي إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سراً ذكرته بالثواب والرحمة سراً.

وقال ابن أبي جمرة يحتمل أن يكون مثل قوله تعالى {اذكروني أذكركم} ومعناه اذكروني بالتعظيم أذكركم بالإنعام وقال تعالى {ولذكر الله أكبر} أي أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف آمنه أو مستوحش آنسه قال تعالى {ألا بذكر الله تطمئن القلوب}.

قوله (وإن ذكرني في ملأ) أي جماعة (ذكرته في ملأ خير منهم) قال بعض أهل العلم يستفاد منه أن الذكر الخفي أفضل من الذكر الجهري والتقدير إن ذكرني في نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحداً وإن ذكرني جهراً ذكرته بثواب اطلع عليه الملأ الأعلى وقال ابن بطال: هذا نص في أن الملائكة أفضل من بني آدم وهو مذهب جمهور أهل العلم وعلى ذلك شواهد من القرآن مثل {إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين} والخالد أفضل من الفاني فالملائكة أفضل من بني آدم وتعقب بأن المعروف عن جمهور أهل السنة أن صالحي بن آدم أفضل من سائر الأجناس والذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة الفلاسفة ثم المعتزلة وقليل من أهل السنة من أهل التصوف وبعض أهل الظاهر.

١٦ ـ باب قول الله عزَّ وجلَّ {كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه} /القصص:٨٨/

٧٤٠٦ ـ عن جابرِ بن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية {قل هو القادرُ عَلَى أن يَبعثَ عليكم عذاباً من فَوقكم} قال النبيُّ ﷺ: أعوذُ بوجْهك، فقال {أو من تحتِ أرجُلِكم} فقال النبيُّ ﷺ: أعوذُ بوَجْهِك، قال {أو يُلبِسَكم شِيَعاً}، فقال النبيُّ ﷺ: هذا أيسَرُ».

قوله (باب قول الله عز وجل: كل شيء هالك إلا وجهه) ذكر فيه حديث جابر في نزول قوله تعالى {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً} الآية، وقد تقدم شرحه في تفسير سورة الأنعام.

قال ابن بطال: في هذه الآية والحديث دلالة على أن لله وجهاً وهو من صفة ذاته، وليس بجارحة ولا كالوجوه التي نشاهدها من المخلوقين[١].

وقيل إن لفظ الوجه صلة، والمعنى كل شيء هالك إلا هو وكذا {ويبقى وجه ربك} وقيل المراد بالوجه القصد، أي يبقى ما أريد به وجهه.

قلت: وهذا الأخير نقل عن سفيان وغيره وقد تقدم ما ورد فيه في أول تفسير سورة القصص.

قال البيهقي: تكرر ذكر الوجه في القرآن والسنة الصحيحة، وهو في بعضها صفة ذات كقوله: إلا رداء الكبرياء على وجهه وهو مافي صحيح البخاري عن أبي موسى، وفي بعضها بمعنى من أجل كقوله {إنما نطعمكم لوجه الله} وفي بعضها بمعنى الرضا كقوله {يريدون وجهه}، {إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى} وليس المراد الجارحة جزماً والله أعلم.

١٧ ـ باب: قولُ الله تعالى: {ولتصْنَعَ على عيني} /طه:٣٩/ تُغَذَّى، وقوله جلَّ ذكرهُ {تجري بأعيُنِنا} /القمر:١٤/.

٧٤٠٧ ـ عن عبدِ الله قال: ذُكرَ الدجالُ عندَ النبيِّ ﷺ فقال: إنَّ اللهَ لا يخفى عليكم، إنَّ اللهَ ليس بأعوَرَ -وأشار بيده إلى عينه- وإنَّ المسيحَ الدجالَ أعورُ عين اليمنى، كأنَّ عَينَهُ عنَبةٌ طافية».

٧٤٠٨ ـ عن أنسٍ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: ما بعثَ اللهُ من نبيٍّ إلا أنذرَ قومهُ الأعورَ الكذابَ، إنه أعورُ وإنَّ ربكم ليس بأعور، مكتوبٌ بين عَينيه كافر».

قوله (وقوله تعالى[٢] تجري بأعيننا) أي بعلمنا وذكر فيه حديثي ابن عمر ثم أنس في ذكر الدجال، وقد تقدما مشروحين في «كتاب الفتن» وفيهما أن الله ليس بأعور.

قوله {ولتصنع على عيني} أي بحفظي.

وقال البيهقي: منهم من قال العين صفة ذات كما تقدم في الوجه، ومنهم من قال: المراد بالعين الرؤية، فعلى هذا فقوله {ولتصنع على عيني} أي لتكون بمرأى مني، وكذا قوله واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا} أي بمرأى منا والنون للتعظيم، ومال إلى ترجيح الأول لأنه مذهب السلف، ويتأيد بما وقع في الحديث وأشار بيده فإن فيه إيماء إلى الرد على من يقول

(١) في الآية والحديث إثبات صفة الوجه لله تعالى، وليس وجهه سبحانه كوجوه المخلوقين، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. ص ٣٨٩

(٢) في الباب واليونينية "وقوله جلّ ذكره..." وسقط التبويب من اليونينية.ص ٣٨٩

معناه القدرة، صرح بذلك قول من قال إنها صفة ذات وقال ابن المنير وجه الاستدلال على إثبات العين لله من حديث الدجال من قوله {إن الله ليس بأعور} من جهة أن العور عرفاً عدم العين وضد العور ثبوت العين، فلما نزعت هذه النقيصة لزم ثبوت الكمال بضدها وهو وجود العين، وهو على سبيل التمثيل والتقريب للفهم لا على معنى إثبات الجارحة، قال: ولأهل الكلام في هذه الصفات كالعين والوجه واليد ثلاثة أقوال: أحدها أنها صفات ذات أثبتها السمع ولا يهتدي إليها العقل، والثاني أن العين كناية عن صفة البصر، واليد كناية عن صفة القدرة، والوجه كناية عن صفة الوجود، والثالث إمرارها على ما جاءت مفوضاً معناها إلى الله تعالى، وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب العقيدة له، أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله الاستواء والنزول والنفس واليد والعين، فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل، إذ لولا إخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى، قال الطيبي: هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح، وقال غيره لم ينقل عن النبيِّ ﷺ ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه {اليوم أكملت لكم دينكم} ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز مع حضه على التبليغ عنه بقوله «ليبلغ الشاهد الغائب» حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما فعل بحضرته، فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله منها، ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى {ليس كمثله شيء} فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم[1] وبالله التوفيق.

١٨ ـ باب قولِ الله تعالى {هوَ اللهُ الخالقُ الباريءُ المصور} الحشر:٢٤/

٧٤٠٩ ـ عن أبي سعيدٍ الخُدري في غزوةِ بني المصطلِق أنهم أصابوا سَبايا، فأرادوا أن يَستمتعوا بهنَّ ولا يحملنَ، فسألوا النبيَّ ﷺ عن العزل فقال: ما عليكم أنَّ لا تفعلوا، فإن اللهَ قد كتبَ من هو خالقٌ إلى يوم القيامة»، وعن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ ليست نفسٌ مخلوقة إلا الله خالقها.

وعن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ ليست نفسٌ مخلوقة إلاَّ الله خالقهاً.

قال الطيبي: قيل إن الألفاظ الثلاثة مترادفة، وهو وهم فإن «الخالق» من الخلق، وأصله التقدير المستقيم ويطلق على الإبداع وهو إيجاد الشيء على غير مثال كقوله تعالى {خلق السموات والأرض} وعلى التكوين كقوله تعالى {خلق الإنسان من نطفة} و«الباريء» من

---

(١) وهذا هو الحق الذي ندين الله به. ص ٣٩٠

البرء، وأصله خلوص الشيء عن غيره إما على سبيل التقصي منه، وعليه قولهم برأ فلان من مرضه، والمديون من دينه، ومنه استبرأت الجارية، وإما على سبيل الإنشاء، ومنه برأ الله النسمة، وقيل الباريء الخالق البريء من التفاوت والتنافر المخلين بالنظام، و«المصور» مبدع صور المخترعات ومرتبها بحسب مقتضى الحكمة، فالله خالق كل شيء بمعنى أنه موجده من أصل ومن غير أصل، وبارئه بحسب ما اقتضته الحكمة من غير تفاوت ولا اختلال، ومصوره في صورة يترتب عليها خواصه ويتم بها كماله، والثلاثة من صفات الفعل إلا إذا أريد بالخالق المقدر فيكون من صفات الذات، لأن مرجع التقدير إلى الإرادة، وعلى هذا فالتقدير يقع أولاً، ثم الإحداث على الوجه المقدر يقع ثانياً، ثم التصوير بالتسوية يقع ثالثاً، انتهى.

وقال الحليمي «الخالق» معناه الذي جعل المبدعات أصنافاً وجعل لكل صنف منها قدرا، «والباريء» معناه الموجد لما كان في معلومه، وإليه الإشارة بقوله {من قبل أن نبرأها} قال ويحتمل أن المراد به قالب الأعيان لأنه أبدع الماء والتراب والنار والهواء لا من شيء ثم خلق منها الأجسام المختلفة، و«المصور» معناه المهيىء للأشياء على ما أراده من تشابه وتخالف.

قوله (سألت[1] أبا سعيد فقال قال النبيُّ ﷺ) قال ابن بطال: الخالق في هذا الباب يراد به المبدع المنشيء لأعيان المخلوقين وهو معنى لا يشاركُ اللهَ فيه أحدٌ، قال ولم يزل الله مسمياً نفسه خالقاً على معنى أنه سيخلق لاستحالة قدم الخلق، وقال الكرماني معنى قوله في الحديث: إلا وهي مخلوقة أي مقدرة الخلق، أو معلومة الخلق عند الله لابد من إبرازها إلى الوجود، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

١٩ ـ باب: قولُ الله تعالى {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} /ص:٧٥/

٧٤١٠ ـ عن أنسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: يجمعُ الله المؤمنين يوم القيامةِ كذلكَ فيقولون: لو استشفَعْنا إلى ربنا حتى يُريحنا من مكانِنا هذا، فيأتونَ آدمَ فيقولون: يا آدمُ أما ترى الناسَ؟ خلقَكَ اللهُ بيدِه، وأسجدَ لكَ ملائكتَه، وعلمكَ أسماءَ كل شيء، اشفَع لنا إلى ربِّك حتى يُريحَنا من مكانِنا هذا. فيقول: لستُ هناك -ويذكر لهم خَطيئتَه التي أصاب- ولكنِ ائتوا نوحاً فإنه أولُ رسولٍ بعثَهُ اللهُ إلى أهل الأرض. فيأتونَ نوحًا فيقول:لستُ هُناك - ولكنِ ائتوا إبراهيمَ خليلَ الرحمن. فيأتونَ إبراهيمَ فيقولُ: لستُ هُناكم - ويذكرُ خطاياهُ التي أصابه - ولكن ائتوا موسى عبداً آتاهُ الله التوراةَ وكلمهُ تكليما. فيأتونَ موسى

(١) رواية الباب واليونينية "سمعت أبا سعيد...." بدل سألت.

فيقول: لستُ هُناكم - ويذكر لهم خطيئتَهُ التي أصابَها - ولكن ائتوا عيسى عبدَ الله ورسولَهُ وكلمتَهُ وروحَه. فيأتونَ عيسى فيقول: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غُفرَ له ما تقدَّم من ذَنبهِ وما تأخر، فيأتونني، فأنطلِقُ، فأستأذِنُ عَلى ربي فيؤذَنُ لي عليه، فإذا رأيتُ ربي وقعتُ له ساجداً، فيَدَعني ما شاء الله أن يَدَعني، ثم يقالُ لي: ارفَعْ محمدُ،قل يُسمَعْ، وسَل تعطه، واشفَع تُشفَّع، فأحمدُ ربي بمحامدَ علَّمنيها، ثم أشفعُ، فيحدُّ ليَ حداً، فأدخِلهمُ الجنة، ثم أرجعُ فإذا رأيتُ ربِّي وقعتُ ساجداً، فيدَعني ما شاء الله أن يَدَعني، ثم يقال: ارفَع محمد وقل يُسمَعْ ، وسلْ تعطهْ، واشفعْ تُشفَّعْ، فأحمدُ ربي بمحامدَ علَّمنيها، ثم أشفعُ، فيحدُّ لي حداً، فأدخلهمُ الجنةَ، ثم أرجعُ فإذا رأيتُ ربي وقعتُ ساجداً فيدَعني ما شاءَ اللهُ أن يدَعني، ثم يُقال ارفع محمد قل يُسمع، وسَل تُعطَه، واشفَعْ تُشفع، فأحمدُ ربي بمحامِدَ علَّمنيها، ثم اشفَعْ فيحد لي حداً فأدخِلهم الجنَّة ثم أرجعُ فأقولُ يا ربِّ ما بقيَ في النار إلا من حبسَهُ القرآنُ ووجَبَ عليه الخلود، فقال النبيُّ ﷺ يخرجُ من النار من قال لا إلهَ إلا اللهُ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرةً، ثم يخرج من النارِ من قال لا إله إلا اللهُ وكان في قَلبِهِ من الخيرِ ما يزنُ بُرَّةً، ثم يخرجُ من النار من قال لا إلهَ إلا الله وكان في قلبِهِ ما يزنُ من الخير ذَرَّةً».

٧٤١١ ـ عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: يدُ اللهِ مَلأى لا يَغيضها نَفَقة سَحَّاءُ الليلَ والنهارَ. وقال: أرأيتم ما أنفقَ منذ خَلق الله السماواتِ والأرضَ فإنه لم يَغض ما في يده. وقال: عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزانُ يَخفضُ ويرفعُ.

٧٤١٢ ـ عن ابن عُمرَ رضيَ اللهُ عنهما عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: إنَّ اللهَ يقبضُ يوم القيامةِ الأرضَ وتكون السماوات بيَمينه ثم يقول أنا الملك.

٧٤١٣ ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يقبِض الله الأرضَ.

٧٤١٤ ـ عن عبد الله أنَّ يهودياً جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا محمد إنَّ اللهَ يُمسِك السماواتِ على إصبع والأرضين على إصبع والجبالَ على إصبع والشَّجَر على إصبَع والخلائق على إصبَع ثم يقول: أنا الملك فضحكَ رسول اللهِ ﷺ حتى بدَتْ نواجذُهُ. ثم قرأ {وما قَدَروا اللهَ حقَّ قَدرهِ}.

٧٤١٥ ـ قال عبد الله جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ من أهلِ الكتاب فقال يا أبا القاسم إنَّ الله يُمسكُ السماواتِ على إصبع والأرَضين على إصبع والشجر والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول أنا الملك أنا الملك فرأيتُ النبيَّ ﷺ ضحِك حتى بدَت نواجذُهُ، ثم قرأ {وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قدْره}

قوله (باب قول الله تعالى لما خلقت بيدي) قال ابن بطال: في هذه الآية إثبات يدين لله، وهما صفتان من صفات ذاته وليستا بجارحتين خلافاً للمشبهة من المثبتة [١]، وللجهمية من المعطلة، ويكفي في الرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة، أنهم أجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المثبتة ولا قدرة له في قول النفاة، لأنهم يقولون إنه قادر لذاته ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن في قوله تعالى لإبليس {ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي} إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته.

ثم ذكر في الباب أربعة أحاديث للثالث منها أربعة طرق، وللرابع طريقان، الحديث الأول: حديث أنس في الشفاعة وقد تقدم شرحه مستوفى في أواخر «كتاب الرقاق»[٢] والغرض منه هنا قول أهل الموقف لآدم «خلقك الله بيده».

قوله (ملأى) والمراد من قوله ملأى أو ملآن لازمه وهو أنه في غاية الغنى وعنده من الرزق مالا نهاية له في علم الخلائق.

قوله (لا يغيضها) أي لا ينقصها، يقال غاض الماء يغيض إذا نقص.

قوله (سحاء) دائمة الصب.

قوله (الليل والنهار) بالنصب على الظرف أي فيهما ويجوز الرفع.

قوله (أرأيتم ما أنفق) تنبيه على وضوح ذلك لمن له بصيرة.

قوله (وقال عرشه على الماء) ومناسبة ذكر العرش هنا أن السامع يتطلع من قوله «خلق السموات والأرض» ما كان قبل ذلك، فذكر ما يدل على أن عرشه قبل خلق السموات والأرض كان على الماء كما وقع في حديث عمران بن حصين الماضي في بدء الخلق بلفظ «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض».

قوله (وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع) أي يخفض الميزان ويرفعها.

قال البيهقي ذهب بعض أهل النظر إلى أن اليد صفة ليست جارحة، وكل موضع جاء ذكرها في الكتاب أو السنة الصحيحة فالمراد تعلقها بالكائن المذكور معها كالطي والأخذ والقبض والبسط والقبول والشح والإنفاق وغير ذلك تعليق الصفة بمقتضاها من غير مماسة، وليس في ذلك تشبيه بحال، وذهب آخرون إلى تأويل ذلك بما يليق به انتهى.

---

(١) نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه في كتابه الكريم وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تشبيه ولا تعطيل وقد أثبت الله تعالى لنفسه اليد كما أشارت الآية في ترجمة الباب وأثبتها له رسوله ﷺ كما في أحاديث الباب.

(٢) كتاب الرقاق باب / ٥١ ح ٦٥٦٥ - ٥ / ٧٦

٢٠ ـ باب قول النبيِّ ﷺ «لا شخْصَ أغيرُ من الله»

وقال عُبيد الله بن عمرو عن عبد الملك «لا شخصَ أغيَرُ من الله».

٧٤١٦ ـ عن المغيرة قال: «قال سعد بن عبادة لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لَضربتهُ بالسيف غيرَ مُصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال تعجبونَ من غَيرةِ سعد، والله لأنا أغْيَر منه، واللهُ أغيرُ منيِّ، ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهرَ منها وما بطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه العُذرُ من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرِين والمنذِرين، ولا أحدَ أحبُّ إليه المِدحَة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة».

قال ابن بطال: هو من قوله تعالى {وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت} فالعذر في هذا الحديث التوجه والإنابة كذا قال، وقال عياض: المعنى بعث المرسلين للإعذار والإنذار لخلقه قبل أخذهم بالعقوبة، وهو كقوله تعالى {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} وحكى القرطبي في المفهم عن بعض أهل المعاني قال: إنما قال النبيُّ ﷺ «لا أحد أحب إليه العذر من الله» عقب قوله «لا أحد أغير من الله» منها لسعد بن عبادة على أن الصواب خلاف ما ذهب إليه، ورادعا له عن الإقدام على قتل من يجده مع امرأته، فكأنه قال إذا كان الله مع كونه أشد غيرة منك يحب الإعذار، ولا يؤاخذ إلا بعد الحجة، فكيف تقدم أنت على القتل في تلك الحالة.

قال ابن بطال: أراد به المدح من عباده بطاعته وتنزيهه عما لا يليق به والثناء عليه بنعمه ليجازيهم على ذلك، وقال القرطبي ذكر المدح مقروناً بالغيرة والعذر تنبيها لسعد على أن لا يعمل بمقتضى غيرته، ولا يعجل بل يتأنى ويترفق ويتثبت، حتى يحصل على وجه الصواب فينال كمال الثناء والمدح والثواب لإيثاره الحق وقمع نفسه وغلبتها عند هيجانها.

٢١ ـ باب {قل أيُّ شيءٍ أكبرُ شهادةً؟ قلِ اللهُ} /الأنعام:١٩/

فسمى الله تعالى نفسه شيئاً، وسمى النبيُّ ﷺ القرآنَ شيئاً وهو صفة من صفاتِ الله، وقال {كل شيء هالك إلا وجْهَه} /القصص:٨٨/.

٧٤١٧ ـ عن سهل بن سعد قال النبيُّ ﷺ لِرَجل: أمَعَكَ من القرآنِ شيءٌ؟ قال: نعم، سورةُ كذا وسورةُ كذا لسُوَرٍ سمَّاها».

قوله (وسمى النبيُّ ﷺ القرآن شيئاً وهو صفة من صفات الله) يشير إلى الحديث الذي أورده من حديث سهل بن سعد وفيه «أمعك من القرآن شيء» وهو مختصر من حديث طويل في قصة الواهبة تقدم بطوله مشروحاً في «كتاب النكاح»[1] وتوجيهه أن بعض القرآن قرآن

(١) كتاب النكاح باب / ٤٠ ح ٥١٣٥ - ٤ / ٧١

وقد سماه الله شيئاً.

قوله (وقال كل شيء هالك إلا وجهه) وأشار ابن بطال إلى أن البخاري انتزع هذه الترجمة من كلام عبد العزيز بن يحيى المكي فإنه قال: في «كتاب الحيدة» سمى الله تعالى نفسه شيئاً إثباتاً لوجوده ونفياً للعدم عنه، وكذا أجرى على كلامه ما أجراه على نفسه ولم يجعل لفظ شيء من أسمائه بل دل على نفسه أنه شيء تكذيباً للدهرية ومنكري الإلهية من الأمم، وسبق في علمه أنه سيكون من يلحد في أسمائه ويلبس على خلقه ويدخل كلامه في الأشياء المخلوقة، فقال {ليس كمثله شيء} فأخرج نفسه وكلامه من الأشياء المخلوقة ثم وصف كلامه بما وصف به نفسه فقال {وما قدروا الله حق قدره، إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء} وقال تعالى {أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء} فدل على كلامه بما دل على نفسه ليعلم أن كلامه صفة من صفات ذاته فكل صفة تسمى شيئاً بمعنى أنها موجودة.

٢٢ ـ باب {وكان عرشه على الماء} /هود:٧/ {وهو رب العرش العظيم} /التوبة:١٢٩/

قال أبو العالية:{استوى إلى السماء} /الأعراف:٥٤/: ارتفع. {فسوّاهنّ} /البقرة:٢٩/: خلقهنّ، وقال مجاهد، استوى: علا على العرش، وقال ابن عباس {المجيدُ} /البروج:١٥/: الكريم، {والودُود} /البروج:١٤/: الحبيب، يُقال: حميد مَجيد، كأنه فعيل من ماجد محمودٌ من حمد.

٧٤١٨ ـ عن عِمرانَ بن حُصين قال: «إنّي عندَ النبيِّ ﷺ إذ جاءهُ قومٌ من بني تميم فقال: اقبَلوا البُشرى يا بني تميم، قالوا: بشَّرْتنا فأعطنا، فدخلَ ناسٌ من أهل اليمن فقال: اقبلوا البُشرَى يا أهل اليمن إذ لم يقبَلها بنو تميم، قالوا قبلْنا، جئناك لنتفقه في الدِّين. ولنسألك عن أولِ هذا الأمر ماكان، قال: كان الله ولم يكن شيء قبلهُ، وكان عرشه على الماء، ثم خلقَ السماواتِ والأرضَ، وكتبَ في الذكر كلَّ شيء، ثم أتاني رجلٌ فقال يا عمرانُ أدرك ناقَتَك فقد ذهبت فانطلقتُ أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها، وأيم اللهِ لودِدت أنها قد ذهبَت ولم أقم».

٧٤١٩ ـ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ يمينَ الله ملأى لا يغيضها نفقة سحَّاءُ الليلَ والنهارَ، أرأيتم ما أنفقَ منذُ خلقَ السماواتِ والأرضَ فإنه لم ينقص ما في يمينهِ، وعرشه على الماء، وبيدهِ الأخرى الفيض - أو القبض - يرفع ويخفض».

٧٤٢٠ ـ عن أنسٍ قال: «جاء زيد بن حارثة يشكو فجعلَ النبيُّ ﷺ يقول اتقِ اللهَ وأمسك عليكَ زوجَك» قال أنس لو كان رسول الله ﷺ كاتِماً شيئاً لكتم هذه، قال: فكانت زينب

تفخَرُ على أزواج النبيِّ ﷺ تقول زوَّجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوقِ سبعِ سماوات.

وعن ثابت {وتُخفي في نفسك ما اللهُ مُبديه وتخشى الناسَ} نزل في شأن زينبَ وزيدِ بن حارثة.

٧٤٢١ ـ عن أنس بن مالك رضيَ الله عنه قال: نزلت آية الحجابِ في زينب بنت جحش، وأطعم عليها يومئذٍ خبزاً ولحماً» وكانت تفخر على نِساء النبيِّ ﷺ، وكانت تقول: «إن الله أنكحني في السماء».

٧٤٢٢ ـ عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: إن الله لما قضى الخلقَ كتبَ عندَه فوق عرشه إن رحمتي سبقَت غضبي».

٧٤٢٣ ـ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: من آمنَ بالله ورسوله، وأقامَ الصلاةَ، وصام رمضانَ، كان حقاً على الله أن يُدخله الجنَّة هاجر في سبيل الله أو جلسَ في أرضهِ التي وِلِد فيها، قالوا يا رسول الله أفلا نُنَبِّىء الناس بذلك، قال: إنَّ في الجنةِ مائة درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدين في سبيلِه، كلُّ دَرجتين ما بينهما كما بين السماءِ والأرضِ فإذا سألتم اللهَ فسلُوه الفردَوْسَ، فإنه أوسطُ الجنةِ وأعلى الجنةِ وفوقَه عرشُ الرحمنِ ومنه تفجَّرُ أنهارُ الجنَّة»

٧٤٢٤ ـ عن أبي ذرٍ قال: «دخلتُ المسجدَ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ فلما غربَتِ الشمسُ قال: يا أبا ذر هل تدري أين تذهبُ هذه؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهبُ تستأذنُ في السجود فيؤذنُ لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئتِ، فتطلع من مغربِها، ثم قرأ: {ذلك مستقرٌ لها} في قراءةِ عبدِ الله».

٧٤٢٥ ـ عن زيدِ بن ثابت قال: أرسلَ إليَّ أبو بكرٍ فتتبعتُ القرآنَ حتى وجدتُ آخرَ سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاريِّ لم أجِدْها مع أحَدٍ غيره {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} حتى خاتمة براءةٌ.

٧٤٢٦ ـ عن ابن عباس رضيَ الله عنهما قال: «كان النبيُّ ﷺ يقول عند الكربِ، لا إله إلا الله العليم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ العرش الكريم».

٧٤٢٧ ـ عن أبي سعيدِ الخدريِّ عن النبيِّ ﷺ «قال النبيُّ ﷺ يُصعَقون يوم القيامةِ فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش».

٧٤٢٨ ـ عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «فأكونُ أول من بُعِث، فإذا موسى آخذ بالعرش».

قوله (باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) وقال البيهقي في «الأسماء والصفات» اتفقت أقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة، وفي الآيات -أي التي ذكرها- والأحاديث والآثار دلالة على صحة ما ذهبوا إليه.

قوله (وقال مجاهد استوى: علا على العرش) وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح.

وقد نقل أبو اسماعيل الهروي في كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن علي بن خلف قال: كنا عند أبي عبد الله بن الأعرابي يعني محمد بن زياد اللغوي فقال له رجل {الرحمن على العرش استوى} فقال هو على العرش كما أخبر، قال يا أبا عبد الله إنما معناه استولى، فقال اسكت لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد، ومن طريق محمد بن أحمد بن النضر الأزدي سمعت ابن الأعرابي يقول أرادني أحمد بن أبي داود أن أجد له في لغة العرب {الرحمن على العرش استوى} بمعنى استولى فقلت والله ما أصبت هذا، وقال غيره لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش، لأنه غالب على جميع المخلوقات، ونقل محيي السنة البغوي في تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه ارتفع وقال أبو عبيد والفراء وغيرهما بنحوه، وأخرج أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر» ومن طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سئل كيف استوى على العرش؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، وعلى الله الرسالة، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم» وأخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته،وأخرج الثعلبي من وجه آخر عن الأوزاعي أنه سئل عن قوله تعالى {ثم استوى على العرش} فقال: هو كما وصف نفسه، وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال كنا عند مالك فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله «الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه» ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة لكن قال فيه «والإقرار به واجب، والسؤال عنه بدعة» وأخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة

وشريك وأبو عوانة لا يحددون ولا يشبهون ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف، قال أبو داود وهو قولنا، قال البيهقي وعلى هذا مضى أكابرنا وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسَّر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وفارق الجماعة، لأنه وصف الرب بصفة لا شيء، ومن طريق الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي ومالكاً والثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا: أمرّوها كما جاءت بلا كيف» وأخرج ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول: لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردُّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر، فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه، فقال {ليس كمثله شيء} وأسند البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري عن سفيان بن عيينة قال: «كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه» ومن طريق أبي بكر الضبعي قال: مذهب أهل السنة في قوله {الرحمن على العرش استوى} قال بلا كيف والآثار فيه عن السلف كثيرة، وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل، وقال الترمذي في الجامع عقب حديث أبي هريرة في النزول وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه، كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات، وقال في باب فضل الصدقة قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف، كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا: أمروها بلا كيف، وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكروها وقالوا هذا تشبيه، وقال اسحق بن راهويه إنما يكون التشبيه لو قيل: يد كيد وسمع كسمع، وقال في تفسير المائدة قال الأئمة نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير، منهم الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك وقال ابن عبد البر أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكيفوا شيئاً منها؛ وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا من أقر بها فهو مشبه فسماهم من أقر بها معطلة، وقال إمام الحرمين في الرسالة النظامية اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأولها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الإنكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله تعالى [1] والذي

(١) ليس تفويض المعاني إلى الله تعالى هو مذهب السلف وإنما يفوض السلف في العلم بالكيفية كما قال ربيعة الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول.

نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع انتهى.

وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثوري والأوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة، وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة.

قوله (وقال ابن عباس: المجيد الكريم، والودود الحبيب) وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى {ذو العرش المجيد} قال المجيد الكريم، وبه عن ابن عباس في قوله تعالى: {وهو الغفور الودود} قال الودود الحبيب وإنما وقع تقديم المجيد قبل الودود هنا لأن المراد تفسير لفظ المجيد الواقع في قوله {ذو العرش المجيد} فلما فسره استطرد لتفسير الإسم الذي قبله إشارة إلى أنه قريء مرفوعاً بالاتفاق، وذو العرش بالرفع صفة له واختلفت القراء في المجيد بالرفع، فيكون من صفات الله، وبالكسر فيكون صفة العرش، قال ابن المنير جميع ما ذكره البخاري في هذا الباب يشتمل على ذكر العرش إلا أثر ابن عباس، لكنه نبه به على لطيفة وهي أن المجيد في الآية على قراءة الكسر ليس صفة للعرش، حتى لا يُتخيل أنه قديم بل هي صفة الله، بدليل قراءة الرفع، وبدليل اقترانه بالودود فيكون الكسر على المجاورة لتجتمع القراءتان على معنى واحد، انتهى.

ويؤيد أنها عند البخاري صفة الله تعالى ما أردفه به، وهو يقال حميد مجيد الخ.

قوله (اقبلوا البشرى يا بني تميم) في رواية أبي عاصم «أبشروا يا بني تميم» والمراد بهذه البشارة أن من أسلم نجا من الخلود في النار، ثم بعد ذلك يترتب جزاؤه على وفق عمله إلا أن يعفو الله.

قوله (قالوا بشرتنا فأعطنا) وزاد في رواية الثوري عن جامع في المغازي «فقالوا أما إذا بشرتنا فأعطنا»

وفي أخرى في المغازي من طريق سفيان أيضاً «فرؤى ذلك في وجهه» وفيها «فقالوا يا رسول الله بشرتنا» وهو دال على إسلامهم وإنما راموا العاجل، وسبب غضبه ﷺ استشعاره بقلة علمهم لكونهم علقوا آمالهم بعاجل الدنيا الفانية وقدموا ذلك على التفقه في الدين الذي يحصِّل لهم ثواب الآخرة الباقية.

قال الطيبي: لما لم يكن جل اهتمامهم إلا بشأن الدنيا، قالوا: «بشرتنا فأعطنا» فمن ثم

قال: إذا لم يقبلها بنو تميم.

قوله (كان الله ولم يكن شيء قبله) تقدم في بدء الخلق بلفظ «ولم يكن شيء غيره».

واستدل به على أن العالَم حادث لأن قوله «ولم يكن شيء غيره» ظاهر في ذلك فإن كل شيء سوى الله وُجد بعد أن لم يكن موجودا.

الحديث الخامس: حديث أبي هريرة الذي فيه «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين: وقد تقدم شرحه في الجهاد[١] مع الكلام على قوله {كان حقاً على الله وإن معناه معنى قوله تعالى {كتب ربكم على نفسه الرحمة} وليس معناه أن ذلك لازم له لأنه لا آمر له ولا ناهي يوجب عليه ما يلزمه المطالبة به، وإنما معناه إنجاز ما وعد به من الثواب، وهو لا يخلف الميعاد.

الحديث السادس: حديث أبي ذر وقد تقدم شرحه في بدء الخلق[٢] وفي تفسير سورة يس، والمراد منه هنا إثبات أن العرش مخلوق لأنه ثبت أن له فوقاً وتحتا وهما من صفات المخلوقات وقد تقدم صفة طلوع الشمس من المغرب في باب قول النبيِّ ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين» من كتاب الرقاق قال ابن بطال: استئذان الشمس معناه أن الله يخلق فيها حياة يوجد القول عندها لأن الله قادر على إحياء الجماد والموات.

٢٣ ـ باب قول الله تعالى: {تعرُجُ الملائكةُ والروح إليه} /المعارج:٤/.
وقوله جلَّ ذكرهُ {إليه يصعَدُ الكلمُ الطيِّب} /فاطر:١٠/

وقال أبو جمرة عن ابن عبَّاس «بلغ أبا ذر مبعثُ النبيِّ ﷺ فقال لأخيه اعلم لي علم هذا الرجُل الذي يزعم أنه يأتيهِ الخبرُ من السماء»، وقال مجاهدٌ: {العملُ الصالح يرفعُ الكلمَ الطيب} يقال، {ذي المعارج} /المعارج:٣/: الملائكة تعرجُ إلى الله.

٧٤٢٩ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه «أنَّ رسول الله ﷺ قال: يتعاقبونَ فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهارِ ويجتمعونَ في صلاة العصرِ وصلاةِ الفجرِ، ثم يعرُجُ الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلمُ بهم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يُصَلون وأتيناهم وهم يُصَلون».

٧٤٣٠ ـ عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ من تصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يَصْعَدُ إلى الله إلا الطَّيبُ، فإن الله يتقبَّلُها بيمينِه ثم يربِّيها لصاحبها كما يربِّي أحدُكم فَلُوَّه حتى تكون مثلَ الجبل».

---

(١) كتاب الجهاد باب / ٤ ح ٢٧٩٠ - ٢ / ٥٥٢

(٢) كتاب بدء الخلق باب / ٤ ح ٣١٩٩ - ٢ / ٧٢٢

٧٤٣١ ـ عن ابن عباس أنَّ نبيَّ الله ﷺ كان يدعو بِهنَّ عند الكَرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب العرش الكريم».

٧٤٣٢ ـ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: بعثَ عليٌّ وهو في اليمن إلى النبيِّ ﷺ بذُهَيْبة في تربتها فقسمها بين الأقرع بني حابس الحنظلي ثم أحدِ بن مجاشع وبين عُيينة بن بدر الفَزاريِّ وبين علقمة بن عُلاثَة العامري ثم أحد بني كلاب وبين زيد الخيل الطائيِّ ثم أحدِ بني نبهان فتغيَّظتْ قريش والأنصارُ فقالوا يعطيه صناديد أهل نجد ويدَعنا، قال: إنما أتألفهم، فأقبلَ رجلٌ غائرُ العينين ناتىء الجبين كثُّ اللّحية مشرف الوجنتين محلوقُ الرأس فقال يا محمدُ اتق اللهَ، فقال النبيُّ ﷺ: فمن يطيع اللهَ إذا عصَيْتُهُ فيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني، فسأل رجل من القوم قَتْلَه، أُراه خالدَ بن الوليد، فمنعه النبيُّ ﷺ، فلما ولّى قال النبيُّ ﷺ إنَّ من ضِئضِىءِ هذا قوماً يقرؤن القرآنَ لا يجاوزُ حناجِرَهم يمرُقون من الإسلام مروقَ السهمِ من الرَّميَّةِ يَقْتلون أهلَ الإسلام ويدَعون أهل الأوثان لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قَتلَ عادٍ.

٧٤٣٣ ـ عن أبي ذرٍّ قال: سألتُ النبيَّ ﷺ عن قوله {والشمسُ تجري لمستَقرٍّ لها} قال: مستقرها تحت العرش.

قوله (باب قول الله تعالى {تعرج الملائكة والروح إليه، وقوله تعالى[(١)]: إليه يصعد الكلم الطيب} وقال أبو جمرة: عن ابن عباس بلغ أبا ذر مبعث النبيِّ ﷺ وقال مجاهد العمل الصالح يرفع الكلم الطيب يقال ذي المعارج الملائكة تعرج إلى الله) أما الآية الأولى فأشار إلى ما جاء في تفسيرها في الكلام الأخير، وهو قول الفراء «والمعارج» من نعت الله تعالى وصف بذلك نفسه لأن الملائكة تعرج إليه، وحكى غيره أن معنى قوله «ذي المعارج» أي الفواضل العالية.

وأخرج البيهقي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسيرها «الكلم الطيب» ذكر الله، «والعمل الصالح» أداء فرائض الله، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه، وقال الفراء: معناه أن العمل الصالح يرفع الكلام الطيب أي يُتَقَبَّلُ الكلامُ الطيبُ إذا كان معه عمل صالح[(٢)].

قال الراغب: العروج ذهاب في صعود، وقال أبو على القالي في كتابه البارع: المعارج

(١) في الباب واليونينية "وقوله جلّ ذكره" بدل "وقوله تعالى" وسقط التبويب في اليونينية.
(٢) الآيات والأحاديث في الباب هي بعض الأدلة المستفيضة على اثبات علو الله على خلقه، وأنه سبحانه مستوٍ على عرشه

جمع معرج بفتحتين كالمصاعد جمع مصعد والعروج الارتقاء.

قال البيهقي: صعود الكلام الطيب والصدقة الطيبة عبارة عن القبول، وعروج الملائكة هو إلى منازلهم في السماء وأما ما وقع من التعبير في ذلك بقوله «إلى الله» فهو على ما تقدم عن السلف في التفويض.

ثم ذكر فيه أربعة أحاديث لبعضها زيادة على الطريق الواحدة.

الحديث الأول: عن أبي هريرة «يتعاقبون فيكم ملائكة» وقد تقدم شرحه في أوائل «كتاب الصلاة»[١].

الحديث الرابع: حديث أبي سعيد. ومضى شرح الحديث مستوفى في «كتاب الفتن».

٢٤ ـ باب قولُ الله تعالى
{وجوهٌ يومئذ ناضرةٌ إلى ربِّها ناظرة} /القيامة:٢٢،٢٣/.

٧٤٣٤ ـ عن جرير قال: «كنا جلوساً عند النبيِّ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: إنكم ستَرَونَ ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامُّون في رؤيته، فإن استطعتُم أن لا تُغلبوا على صلاة قبلَ طلوعِ الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا».

٧٤٣٥ ـ عن جرير بن عبد اللهِ قال: «قال النبيُّ ﷺ: إنكم سترونْ ربكم عيانا».

٧٤٣٦ ـ عن جريرٍ قال: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربَّكم يومَ القيامةِ كما ترون هذا لا تضامون في رؤيتهِ».

٧٤٣٧ ـ عن إبراهيمَ بن سعدٍ عن ابن شهابٍ عن عطاء بن يزيد الليثيِّ «عن أبي هريرةَ أن الناسَ قالوا يا رسولَ الله هل نرىَ ربَّنا يومَ القيامةِ؟ فقال: رسولُ الله ﷺ: هل تضارُّون في القمرِ ليلةَ البدرِ؟ قالوا لا يا رسولَ الله، قال فهل تضارُّون في الشمس ليسَ دونها سحابٌ؟ قالوا: لا يا رسولَ الله، قال فإنكم ترونه كذلك يجمعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامة، فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعهُ فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتَّبعُ من كان يعبدُ القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبدُ الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمّة فيها شافعوها، أو منافقُوها، شكَّ إبراهيم، فيأتيهم اللهُ فيقول أنا ربُّكم، فيقولون هذا مكاننا حتى يأتيَنا ربُّنا فإذا جاء ربُّنا عرفْناه، فيأتيهم اللهُ في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربُّنا فيتَّبعونه، ويضربُ السراط بين ظَهْرَي جهنمَ، فأكون أنا وأمَّتي أولَ مَن يُجيزُها، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسُلُ ودعوَى الرسلِ يومئذٍ: اللهمَّ سلّم سلّم، وفي جهنمَ كلاليب مثلُ شوكِ السَّعْدان، هل رأيتم السَّعْدان؟ قالوا: نعم يا رسولَ اللهَ، قال: فإنها مثلُ شوكِ

(١) كتاب المواقيت باب / ١٦ ح ٥٥٥ - ١/ ٣٤٠

السعدانِ، غير أنه لا يعلمُ قَدْرَ عِظَمِها إلا اللهُ تخطفُ الناسَ بأعمالهم فمنهم الموبَقُ بقي بعمله، ومنهم المخردَل أو المجازَى أو نحوُهُ، ثم يتجلى حتى إذا فرغَ اللهُ من القضاءِ بين العباد، وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يُشركُ بالله شيئاً مِمّن أراد الله أن يرحمه مِمّن يشهدُ أن لا إله إلا اللهُ فيعرفونهم في النار بأثرِ السجود، تأكل النارُ ابن آدمَ إلا أثرَ السُّجودِ، حرّمَ الله على النارِ أن تأكلَ أثرَ السجودِ، فيخرجونَ من النار قد امتُحِشوا فيُصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ فيَنبتُون تحتَه، كما تنبُت الحِبَّةُ في حَميل السَّيْل، ثم يَفرغ الله من القضاءِ بين العبادِ، ويبقَى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخِرُ أهل النار دخولاً الجنة، فيقول أي ربِّ اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قَشبني ريحها وأحرقني ذكاؤُها، فيدعو الله ما شاء أن يدْعوه، ثم يقول اللهُ: هل عَسَيْتَ إن أعطيتَ ذلك أن تسألني غيرَه، فيقول: لا وعزَّتك لا أسألك غيرَه ويعطي ربه من عهود ومواثيقَ ما شاء، فيصرفُ اللهُ وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكتَ ما شاء الله أن يسكتَ، ثم يقول أي ربِّ قدِّمني إلى باب الجنة، فيقول الله له ألستَ قد أعطيتَ عهودك ومواثيقَك أن لا تسألني غيرَ الذي أعطيتَ أبداً، ويلك يا ابن آدمَ ما أغْدَرك، فيقول: أي ربِّ، ويدعو الله حتى يقولَ هل عسَيْتَ أن أعطيت ذلك أن تسألَ غيره، فيقول: لا وعزَّتكَ لا أسألكَ غيرهَ، ويعطى ما شاءَ من عهودٍ ومواثيقَ فيقدمه إلى باب الجنَّةِ، فإذا قام إلى باب الجنَّة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الحَبرة والسرور، فيسكُتُ ما شاءَ الله إن يسكُتَ، ثم يقول أي ربِّ أدخِلني الجنة فيقولُ اللهُ ألستَ قد أعطيت عهودكَ ومواثيقك أن لا تسأل غيرَ ما أعطيت، فيقول: ويلك يا ابن آدَم ما أغدَرك، فيقال أي ربِّ لا أكونُ أشقى خلقِك فلا يزالُ يدعو حتى يضحَكَ اللهُ منه، فإذا ضحك منه قال له ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له تمنَّه فسأل ربَّه وتمنيٌّ، حتى أنَّ اللهَ ليذكِّرَه، يقول: كذا وكذا حتى انقطعت به الأمانيُّ، قال الله ذلك لك ومثله معه.

٧٤٣٨ ـ قال عطاءُ بن يزيدٍ وأبو سعيدٍ الخدريّ مع أبي هريرة لا يرُدُّ عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث أبو هريرةَ أنَّ الله تبارك وتعالي قال ذلك لكَ ومثله معه قال أبو سعيد الخُدري: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة؟. قال أبو هريرةُ: ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه، قال أبو سعيد الخدريُ: أشهدُ أنيِّ حفظت من رسول الله ﷺ قوله ذلك لك وعشَرةُ أمثاله، قال أبو هريرةَ فذلكَ الرجلُ آخِرُ أهل الجنة دخولاً الجنةَ.

٧٤٣٩ ـ عن أبي سعيد الخدريِّ قال: قلنا يا رسول اللهِ هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارُونَ في رؤية الشمس والقَمر إذا كانت صَحواً؟ قلنا: لا، قال: فإنكم لا تضارُّون في

رؤية ربِّكم يومئذٍ إلا كما تضارون في رؤيتهما، ثم قال: ينادي منادٍ ليَذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهبُ أصحابُ الصَّليبِ مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كلّ آلهةٍ مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبدُ اللهَ مِن بَر أو فاجر وغُبَّراتٌ من أهل الكتاب ثمَّ يُؤتى بجَهنَّم تعرضُ كأنها سَرابٌ، فيقال لليهود ما كنتم تعبُدُون؟ قالوا: كنَّا نعبُدُ عُزَيرَ ابن اللهِ، فيقال: كذبتم لم يكن للهِ صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدونَ، قالوا: نريد أن تسقِينَا فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنمَ، ثم يقال: للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيحَ ابن اللهِ، فيقال: كذبتم لم يكن للهِ صاحبةٌ ولا ولدٌ، فما تريدون فيقولون نريدُ أن تسقِيَنا، فيقال: اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد اللهَ من بَرٍّ أو فاجرٍ فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناسُ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوَجُ منا إليه اليومَ، وإنا سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كلُّ قوم بما كانوا يَعبدون وإنما ننتظرُ ربَّنا. قال: فيأتيهمُ الجبَّارُ في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوَّلَ مرة، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربُّنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينَهُ آية تعرفونَه؟ فيقولون: السَّاق. فيَكْشِفُ عن ساقه، فيسجُد له كل مؤمن، ويبقى مَن كان يسجُدُ لله رياءً وسمعةً فيذهبُ كيما يسجدَ فيعودُ ظهرهُ طبَقاً واحداً ثمَّ يؤتى بالجسر فيُجْعَلُ بين ظهرَي جهنمَ، قلنا: يا رسولَ الله ما الجسَرُ؟ قال: مَدحَضَةٌ مَزِلةٌ عليه خَطاطيف وكلاليبُ وحسكةٌ مُفلْطَحةٌ لها شوكةٌ عُقيفاء تكون بنَجْد يقال لها السعدانُ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مُسَلَّم وناج مخدُوشٌ ومكدوسٌ في نار جهنَّم حتى يَمُرَّ آخرُهم يُسحب سحباً فما أنتم بأشَدَّ لي مناشدة في الحقِّ قد تبينَ لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نَجوا في إخوانِهم يقولون ربَّنا إخواننا الذين كانوا يصلون معَنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجَدتم في قلبه مثقال دينارٍ مِن إيمان فأخرِجوه، ويحرِّمُ اللهُ صوَرَهم على النارِ فيأتونهم وبعضهم قد غَاب في النار إلى قدمه وإلى أنصافِ ساقيْه فيُخرِجون مَن عَرفوا ثم يَعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتُّم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عَرفوا ثم يعودون، فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان فأخرجوه فيُخرِجون، من عَرفوا، قال أبو سعيدٍ: فإن لم تصدِّقوني فاقرءوا: {إنَّ اللهَ لا يظلِمُ مثقالَ ذرَّةٍ، وإن تك حَسَنَةً يُضاعفها} فيَشفعُ النبيُّون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبَّارُ بقيت شفاعتي فيقبضُ قبضةً من النار فيُخرجُ أقواماً قد امتُحِشوا فيلقَون في نهر بأفواهِ الجنَّةِ يُقال له ماءُ الحياة فينبُتُون في حافَتَيه كما تنبت الحِبَّةُ في حميل السَّيل قد رأيتموها إلى جانب الصَّخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضرَ، وما

كان منها إلى الظلّ كان أبيضَ فيَخرُجون كأنهم اللؤلؤ فيُجعَلُ في رقابهم الخواتيمُ فيدخلون الجنّة فيقول أهلُ الجنةِ هؤلاءِ عُتقاءُ الرحمنِ أدخَلَهم الجنة بغير عملٍ عمِلوه ولا خير قدّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتُمْ ومثلهُ معه».

٧٤٤٠ ـ عن أنسٍ رضي اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ قال يُحبَس المؤمنون يومَ القيامةِ حتى يهمُّوا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربِّنا فيُريحُنا من مكانِنا، فيأتون آدمَ فيقولون أنت آدمُ أبو الناس، خلقَكَ الله بيده وأسكنك جنتَه، وأسجد لك ملائكتَه، وعلّمك أسماءَ كل شيء، لتشفع لنا عند ربك حتى يُريحَنا مِنْ مكاننا هذا، قال: فيقول لستُ هُناكم، قال: ويذكر خَطيئَتَهُ التي أصاب: أكلَه من الشجَرة وقد نُهيَ عنها، ولكنِ ائتوا نوحاً أوّلَ نبيٍّ بعثهُ الله تعالي إلى أهلِ الأرضِ.فيأتون نوحاً، فيقول: لستُ هناكم، ويذكر خَطيئَتَه التي أصابَ: سُؤاله ربَّه بغير علم، ولكن ائتوا إبراهيمَ خليلَ الرحمن، قال: فيأتونَ إبراهيمَ، فيقول: إني لستُ هناكُم، ويذكر ثلاث كذباتٍ كذَبَهُن، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاهُ اللهُ التوراةَ وكلمهُ وقرَّبه نجيًا، قال فيأتون موسى فيقول إني لستُ هناكُم، ويذكر خطيئتهُ التي أصاب: قتله النفسَ، ولكنِ ائتوا عيسى عبد الله ورسولَه، وروحَ الله وكلمَتَه، قال: فيأتون عيسى فيقول لستُ هناكُم، ولكن ائتوا مُحمداً ﷺ عبداً غفر اللهُ له ما تقدَّمَ مِن ذنبه وما تأخَّر، فيأتوني فأستأذنُ على ربِّي في دارِهِ، فيؤذَنُ لي عليه، فإذا رأيته وقعتُ ساجداً، فيدَعني ما شاء اللهُ أن يدَعني، فيقول ارفع محمدُ وقل يُسمع، واشفع تُشفَعْ، وسلْ تُعط، قال: فأرفعُ رأسي فأثني على ربِّي بثناءٍ وتحميدٍ يُعلمنيه، فيُحدُّ لي حداً فأخرجُ فأدخِلُهم الجنّة. قال قتادةُ: وسمِعتُه أيضاً يقول: فأخرُجُ فأُخرِجُهم مِن النار، وأُدْخلُهم الجنةَ، ثم أعودُ فأستأذن على ربِّي في داره فيُؤذَن لي عليه، فإذا رأيتُه وقعتُ ساجداً، فيَدَعني ما شاء الله أن يدَعني، ثم يقول ارفع محمَّدُ، وقلْ يُسمَع، واشفع تُشفَّعْ وسَلْ تُعطهَ، قال: فأرفَعُ رأسي، فأثني على ربي بثناءٍ وتحميدٍ يُعلّمنيه، قال: ثم أشفَعُ فيُحدُّ لي حداً فأخرُجُ فأدخِلُهم الجنّةَ، قال قتادة: وسمعتُه يقول فأخرُجُ فأُخرِجُهم من النار وأُدْخلُهم الجنّة ثم أعود الثالثةَ فأستأذنُ على ربِّي في دارِه فيُؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعتُ ساجداً فيدَعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمدُ وقل يُسمَعْ، واشفعْ تُشفّعْ، وسلْ تُعطهْ، قال: فأرفعُ رأسي، فأثنى على ربي بثناءٍ وتحميدٍ يُعلّمينه، قال: ثم أشفعُ فيحُدُّ لي حداً فأخرجُ، فأدخلهم الجنّة. قال قُتادةُ: وقد سمعتُه يقول: فأخرُج فأخرجُهم من النار، وأدخِلُهم الجنّة حتى ما يبقى في النار إلا مَن حبَسَه القرآنُ، أي وجب عليه الخلودُ، ثم تلا الآيةَ: {عسى أن يبعثكَ ربُّكَ مقاماً محمودا}، قال: وهذا المقامُ المحمودُ الذي وُعِدَهُ نَبيُّكُم ﷺ».

٧٤٤١ ـ عن أنسٍ بن مالكٍ أنّ رسولَ الله ﷺ أرسلَ إلى الأنصار فجمعهُم في قُبّةٍ وقال لهم: اصبروا حتى تلقَوُا اللهَ ورسوله فإنّي على الحَوضِ».

٧٤٤٢ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا تهجَّد مِنَ الليل قال: اللهم ربَّنا لك الحمدُ أنت قيِّم السمواتِ والأرضِ ولك الحمدُ، أنت ربُّ السمواتِ والأرض ومَن فِيهنَّ ولك الحمد، أنتَ نورُ السموات والأرضِ ومن فيهنَّ، أنت الحقُّ وقولُكَ الحقُّ، ووعدُك الحقُّ، ولقاؤكَ الحقُّ، والجنةُ حقّ، والنارُ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ، اللهمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ وعليك توكلتُ، وإليك خاصمتُ. وبك حاكمتُ فاغفرلي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ وأسررتُ وأعلنتُ وما أنت أعلم به مني لا إله إلا أنتَ».

٧٤٤٣ ـ عن عديٍّ بن حاتم قال: «قال رسولُ الله ﷺ ما مِنكم من أحدٍ إلا سيُكَلِّمُه ربُّه ليسَ بينَه وبينَهُ تُرجُمان ولا حِجاب يحجُبُه».

٧٤٤٤ ـ عن عبد الله بن قيس عن أبيه «عن النبيِّ ﷺ قال: جنَّتان مِن فضّةٍ آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظرُوا إلى ربِّهم إلا رداءُ الكبرياء على وجهه في جنةِ عدنٍ».

٧٤٤٥ ـ عن عبد الله رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ مَن اقتطعَ مالَ امريءٍ مسلم بيَمين كاذبةٍ لقى اللهَ وهو عليه غضبانُ، قال عبدالله: ثمَّ قرأ رسولُ الله ﷺ مصداقَهُ مِن كتابِ الله جلَّ ذِكرُه: {إنَّ الذين يَشتَرون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خَلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله} الآية.

٧٤٤٦ ـ عن أبي هُريرة عن النبيِّ ﷺ قال: ثلاثةٌ لا يكلمهم اللهُ يومَ القيامة، ولا ينظر إليهم: رجلٌ حلَف على سلِعة لقد أعطِي بها أكثر مما أعطِي وهو كاذِبٌ، ورجل حلف على يمينٍ كاذبةٍ بعد العَصر لِيقتَطعَ بها مال امريءِ مسلم، ورجلٌ منعَ فضلَ ماءٍ فيقول اللهُ يوم القيامة: اليوم أمنعُكَ فضلي، كما منعتَ فضلَ ما لم تَعمل يداكَ».

٧٤٤٧ ـ عن محمد عن ابن أبي بكرةَ عن أبي بكرة «عن النبيِّ ﷺ قال: الزَّمانُ قد استدارَ كهيئتهِ يومَ خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ، السنة اثنا عشرَ شهراً منها أربعةٌ حُرُم، ثلاثةٌ متوالياتٌ: ذو القَعدةِ وذو الحجّة والمحرَّم ورجَبُ مُضرَ الذي بين جُمادى وشعبان أيُّ شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكتَ حتي ظَننَّا أنه سيُسمِّيه بغير اسمه، قال: أليس ذالحجة: قُلنا بلى، قال: أيُّ بلدٍ هذا؟ قلنا اللهَ ورسوله أعلم، فسكتَ حتى ظننَّا أنه سيُسميه بِغير اسمه، قال أليس البلْدَةَ؟ قُلنا بلى، قال: فأيُّ يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكتَ حتى ظننَّا أنه سيُسمِّهِ بغير اسمه، قال: أليس يومَ النحر؟ قلنا: بلى، قال:

فإنَّ دماءكم وأموالكم -قال محمد: وأحسبُه قال وأعراضكم- عليكم حرامٌ كحُرمةِ يومكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهركم هذا، وستلقَون ربَّكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضُلالاً يضرِبُ بعضكم رقاب بعض، ألا لِيُبَلِّغ الشاهِدُ الغائبَ، فلعلَّ بعضَ من يبلُغه أن يكونَ أوعى له من بعض مَن سمعَه».

فكانَ محمدٌ إذا ذكرَهُ قال: صدق النبيُّ ﷺ، ثم قال: ألا هل بلَّغتُ، ألا هل بلَّغتُ

قوله (باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) أخرج الطبري بسند صحيح إلى يزيد النحوي عن عكرمة في هذه الآية قال: «تنظر إلى ربها نظراً» وأخرج عن البخاري عن آدم عن مبارك عن الحسن قال: «تنظر إلي الخالق وحق لها أن تنظر».

قال البيهقي: وجه الدليل من الآية أن لفظ «ناضرة»: الأول بالضاد المعجمة الساقطة من النضرة بمعنى السرور، ولفظ «ناظرة» بالظاء المعجمة المشالة يحتمل في كلام العرب أربعة أشياء: نظر التفكر والاعتبار كقوله تعالى {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت} ونظر الانتظار كقوله تعالى {ما ينظرون إلا صيحة واحدة} ونظر التعطف والرحمة كقوله تعالي {لا ينظر الله إليهم} ونظر الرؤية كقوله تعالى {ينظرون إليك نظر المغشيِّ عليه من الموت} والثلاثة الأول غير مرادة، أما الأول فلأن الآخرة ليست بدار استدلال، وأما الثاني فلأن في الانتظار تنغيصاً وتكديرا، والآية خرجت مخرج الامتنان والبشارة، وأهل الجنة لا ينظرون شيئًا لأنه مهما خطر لهم أتوا به، وأما الثالث فلا يجوز لأن المخلوق لا يتعطف على خالقه، فلم يبق إلا نظر الرؤية، وانضم إلى ذلك أن النظر إذا ذكر مع الوجه انصرف إلى نظر العينين اللتين في الوجه، ولأنه هو الذي يتعدَّى بإلى كقوله تعالى {ينظرون إليك} وإذا ثبت أن «ناظرة» هنا بمعنى رائية اندفع قول من زعم أن المعنى ناظرة إلى ثواب ربها لأن الأصل عدم التقدير وأيد منطوق الآية «في حق المؤمنين» بمفهوم الآية الأخرى «في حق الكافرين» أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، وقيَّدها بالقيامة في الآيتين إشارة إلى أن الرؤية تحصل للمؤمنين في الآخرة دون الدنيا، انتهى ملخصاً موضحاً.

وقال ابن بطال: ذهب أهل السنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة [(١)] ومنع الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة، وتمسكوا بأن الرؤية توجب كون المرئي محدثاً وحالاً في مكان، وأوَّلوا قوله «ناظرة» بمنتظرة وهو خطأ لأنه لا يتعدى بإلى، ثم ذكر نحو ما تقدم ثم قال وما تمسكوا به فاسد لقيام الأدلة على أن الله تعالى موجود، والرؤية في تعلقها بالمرئي

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الذي يجب على كل مسلم اعتقاده: هو أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة في عرصة القيامة وبعد ما يدخلون الجنة، على ما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ عند العلماء بالحديث".

بمنزلة العلم في تعلقه بالمعلوم فإذا كان تعلق العلم بالمعلوم لا يوجب حدوثه فكذلك المرئي.

قال وتعلقوا بقوله تعالى {لا تدركه الأبصار} وبقوله تعالى لموسى {لن تراني} والجواب عن الأول أنه لا تدركه الأبصار في الدنيا جمعاً بين دليل الآيتين، وبأن نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية لإمكان رؤية الشيء من غير إحاطة بحقيقته، وعن الثاني المراد لن تراني في الدنيا جمعاً أيضاً، ولأن نفي الشيء لا يقتضي إحالته مع ما جاء من الأحاديث الثابتة على وفق الآية، وقد تلقاها المسلمون بالقبول من لدن الصحابة والتابعين حتى حدث من أنكر الرؤية وخالف السلف، وقال القرطبي: اشترط النفاة في الرؤية شروطاً عقلية كالبنية المخصوصة والمقابلة واتصال الأشعة وزوال الموانع كالبعد والحجب في خبط لهم وتحكم، وأهل السنة لا يشترطون شيئاً من ذلك سوى وجود المرئي، وأن الرؤية إدراك يخلقه الله تعالى للرائي فيرى المرئى وتقرن بها أحوال يجوز تبدلها والعلم عند الله تعالى. ثم ذكر المؤلف في الباب أحد عشر حديثاً.

قوله (لا تُضامون) قال البيهقي: سمعت الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد الصعلوكي يقول في إملائه في قوله «لا تُضامُّون في رؤيته» معناه لا تجتمعون لرؤيته في جهة ولا يضم بعضكم إلى بعض، ومعناه بفتح التاء كذلك والأصل لا تتضامون في رؤيته باجتماع في جهة وبالتخفيف من الضيم، ومعناه لا تظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض فإنكم ترونه في جهاتكم كلها وهو متعال عن الجهة، والتشبيه برؤية القمر للرؤية دون تشبيه المرئي تعالى الله عن ذلك.

الحديث الثاني: حديث أبي هريرة «أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب» الحديث بطوله وقد مضى شرحه مستوفى في «كتاب الرقاق».

قال ابن بطال: عن المهلب إن الله يبعث لهم ملكاً ليختبرهم في اعتقاد صفات ربهم الذي ليس كمثله شيء من فإذا قال لهم: أنا ربكم ردُّوا عليه لما رأوا عليه من صفة المخلوق، فقوله فإذا جاء ربنا عرفناه أي إذا ظهر لنا في ملك لا ينبغي لغيره وعظمة لا تشبه شيئاً من مخلوقاته فحينئذ يقولون أنت ربنا، قال: وأما قوله «هل بينكم وبينه علامة تعرفونها، فيقولون الساق» فهذا يحتمل أن الله عرفهم على ألسنة الرسل من الملائكة أو الأنبياء أن الله جعل لهم علامة تَجلِّيه الساق، وذلك أن يمتحنهم بإرسال من يقول لهم أنا ربكم وإلى

ذلك الإشارة بقوله تعالى {يُثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت} وهي وإن ورد أنها في عذاب القبر فلا يبعد أن تتناول يوم الموقف أيضاً، قال: وأما الساق فجاء عن ابن عباس في قوله تعالى {يوم يكشف عن ساق} قال عن شدة من الأمر[١].

ومعنى قول ابن عباس أن الله يكشف عن قدرته التي تظهر بها الشدة.

وأسند البيهقي الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن. وأسند البيهقي من وجه آخر صحيح عن ابن عباس قال: يريد يوم القيامة.

وقوله «قال مدحضة مزلّة» قال: أي موضع الزلل.

وقوله «وحسكة» قال صاحب التهذيب وغيره الحسك نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم وربما اتخذ مثله من حديد وهو من آلات الحرب، وقوله «مفلطحة» وهو الذي فيه اتساع وهو عريض، يقال فلطح القرط بسطه وعرضه.

الحديث السابع: حديث عدي بن حاتم «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان». وسيأتي أيضاً من وجه آخر عن الأعمش وقوله «ولا حجاب يحجبه».

ونقل الطيبي في شرح حديث أبي موسى عند مسلم «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره» أن فيه إشارة إلى أن حجابه خلاف الحجب المعهودة فهو محتجب عن الخلق بأنوار عزه وجلاله وأشعة عظمته وكبريائه، وذلك هو الحجاب الذي تدهش دونه العقول وتبهت الأبصار وتتحير البصائر، فلو كشفه فتجلى لما وراءه بحقائق الصفات وعظمة الذات لم يبق مخلوق إلا احترق، ولا منظور إلا اضمحل، وأصل الحجاب الستر الحائل بين الرائي والمرئي، والمراد به هنا منع الأبصار من الرؤية له بما ذكر فقام ذلك المنع مقام الستر الحائل فعبر به عنه، وقد ظهر من نصوص الكتاب والسنة أن الحالة المشار إليها في هذا الحديث هي في دار الدنيا المعدة للفناء دون دار الآخرة المعدة للبقاء، والحجاب في هذا الحديث وغيره يرجع إلى الخلق لأنهم هم المحجوبون عنه.

٢٤ ـ باب ما جاء في قول الله تعالى:
{إنَّ رحمةَ الله قريبٌ من المحسنين} /الأعراف:٥٦/

٧٤٤٨ ـ عن أسامةَ قال: «كان ابنٌ لبعض بناتِ النبيِّ ﷺ يَقضي فأرسلت إليه أن

(١) هذا بالنظر إلى لفظ الآية، لأنها لم تدل على الصفة بلفظها، وإنما الدليل هو الحديث المذكور في الباب عن أبي سعيد الخدري. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد طالعت التفاسير المنقولة، عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت على أكثر من مائة تفسير، فلم أجد عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات، أو أحاديثها بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، إلا في مثل قوله تعالى «يوم يكشف عن ساق» فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدّة، وأن الله يكشف عن الشدّة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات. (عن الشيخ الغنيمان)

يأتيها، فأرسلَ: إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى وكلٌّ إلى أجلٍ مُسمّى، فلْتَصبر ولتحتَسب، فأرسلَت إليه، فأقسمتْ عليه، فقام رسول الله ﷺ وقمتُ معه ومعاذُ بن جَبلٍ وأُبَيُّ بن كعبٍ وعبادةُ بنُ الصامتِ، فلما دخلنا ناولوا رسولَ الله ﷺ الصَّبيَّ ونفسهُ تَقَلْقَلُ في صدره حسبْتُه قال: كأنها شَنَّةٌ، فبكى رسولُ الله ﷺ فقال سعدُ بن عُبادة: أتبكي، فقال: إنما يرحَمُ اللهُ من عبادهِ الرحَماء».

٧٤٤٩ ـ عن أبي هُريرة عن النبيِّ ﷺ قال: اختصمتِ الجنةُ والنارُ إلى ربِّهما، فقالت الجنةُ: يا ربِّ مالها لا يدخُلها إلا ضُعفاءُ الناسِ وسَقَطُهم، وقالتِ النارُ يعني أوثِرتُ بالمتكبرين، فقال اللهُ تعالى للجنّة: أنتِ رحمتي وقال للنارِ: أنتِ عذابي، أصيبُ بكِ مَن أشاءُ، ولكلٍّ واحدةٍ منكما مِلؤها، قال: فأما الجنةُ فإن الله لا يَظلمُ مِن خلقه أحداً وإنه يُنشِيءُ للنار [(١)] من يشاءُ فيُلقَون فيها فتقولُ هل من مزيد ثلاثاً، حتى يضعَ فيها قدمَهُ فتمتَلىءُ، ويُرَدُّ بعضها إلى بعضٍ وتقولُ قَطْ قَطْ قط».

٧٤٥٠ ـ عن أنس رضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قال: لَيُصيبنَّ أقواماً سفعٌ من النار بذنوب أصابوها عُقوبة ثم يدخِلُهم اللهُ الجنةَ بفضلِ رحمتِه، يُقال لهم الجهنَّميُّون».

قوله (باب ما جاء في قول الله تعالى: إن رحمة الله قريب من المحسنين) قال ابن بطال: الرحمة تنقسم إلى صفة ذات وإلي صفة فعل، وهنا يحتمل أن تكون صفة ذات، فيكون معناه إرادة إثابة الطائعين، ويحتمل أن تكون صفة فعل فيكون معناها أن فضل الله بسوق السحاب وإنزال المطر قريب من المحسنين فكان ذلك رحمة لهم لكونه بقدرته وإرادته، ونحو تسمية الجنة رحمة لكونها فعلاً من أفعاله حادثة بقدرته، وقال البيهقي في «كتاب الأسماء والصفات» باب الأسماء التي تتبع إثبات التدبير لله دون من سواه فمن ذلك «الرحمن الرحيم» قال الخطابي: معنى الرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم، قال: والرحيم خاص بالمؤمنين كما قال سبحانه {وكان بالمؤمنين رحيما} وقال غيره: الرحمن خاص في التسمية عام في الفعل، والرحيم عام في التسمية خاص في الفعل، انتهى.

قوله (اختصمت) قال ابن بطال عن المهلب: يجوز أن يكون هذا الخصام حقيقة بأن يخلق الله فيهما حياة وفهما وكلاماً والله قادر على كل شيء.

قوله (فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً وأنه ينشيء للنار من يشاء) قال أبو

---

(١) جزم ابن القيم بأن هذا غلط من الراوي، صوابه «ينشئ للجنة» كما تقد برقم ٤٨٥٠ من طريق عبد الرزاق عن همام عن أبي هريرة، وكما في رقم ٧٣٨٤ من طريق قتادة عن أنس، فتبين منهما أن الراوي هنا سب لفظه من الجنة إلى النار، ويسمونه في مصطلح الحديث «المنقلب» (الشيخ محب الدين الخطيب)

الحسن القابسي المعروف في هذا الموضع أن الله ينشيء للجنة خلقاً وأما النار فيضع فيها قدمه قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشيء للنار خلقاً إلا هذا انتهى.

وفي الحديث دلالة على اتساع الجنة والنار بحيث تسع كل من كان ومن يكون إلي يوم القيامة وتحتاج إلى زيادة، وقد تقدم في آخر الرقاق أن آخر من يدخل الجنة يعطى مثل الدنيا عشرة أمثالها، وقال الداودي يؤخذ من الحديث أن الأشياء توصف بغالبها لأن الجنة قد يدخلها غير الضعفاء والنار قد يدخلها غير المتكبرين.

قوله (سفع) هو أثر تغير البشرة فيبقى فيها بعض سواد.

٢٦ ـ باب [١] قول الله تعالي:

{إنَّ اللهَ يُمسك السمواتِ والأرض أن تزولا} /فاطر:٤١/

٧٤٥١ ـ عن عبدِ الله قال: «جاء حَبرٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال يا محمدُ إنَّ اللهَ يضعُ السماءَ على إصبع، والأرضَ على إصبع، والجبالَ على إصبع، والشجرَ والأنهارَ على إصبع، وسائرَ الخلقِ على إصبع، ثم يقولُ بيدهِ أنا الملِكُ، فضحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ وقال: وما قدَروا اللهَ حق قدرِه».

٢٧ ـ باب ما جاءَ في تخليق السموات والأرض وغيرهما مِن الخلائقِ

وهو فِعلُ الربِّ تباركَ وتعالى وأمرهُ، فالربُّ بصفاته وفعله وأمره وهو الخالقُ المكوِّنُ غيرُ مخلوقٍ، وما كان بفعله وأمره وتخليقِه وتكوينه فهو مفعُول مخلوقٌ مُكوَّنٌ.

٧٤٥٢ ـ عن ابن عباسٍ قال: بِتُّ في بيت ميمونَةَ ليلةً والنبيُّ ﷺ عندَها لأنظُر كيفَ صلاةُ رسول اللهِ ﷺ بالليْلِ فتحدَّث رسولُ الله ﷺ مع أهلِه ساعةً ثم رقدَ فلما كان ثُلثُ الليل الأخير أو بَعضهُ، قعد فنظر إلى السمَّاء فقرأ: {إنَّ في خلق السمواتِ والأرضِ -إلى قوله- لأولي الألبابِ} ثم قام فتوضأ واستَنَّ ثم ﷺ إحدى عَشرة ركعةً، ثم أذَّن بلالٌ بالصلاةِ فصلَّى ركعتَين، ثم خرج فصلى للناس الصُّبحَ».

قوله (وهو الخالق المكوِّن غير مخلوق) المكون لم يرد في الأسماء الحسنى، ولكن ورد معناه «وهو المصور» وقوله (وكلامه)[٢] بعد قوله: وأمره من عطف الخاص على العام لأن

---

(١) قال الشيخ الغنيمان في كتابه "شرح كتاب التوحيد" مراد البخاري -رحمه الله- من هذا الباب إثبات جنس الفعل لله تعالى لقوله في الآية "يمسك" وفي الحديث "يضع السموات على إصبع" إلى آخره، وإن كان تقدم ذكر الاستوى المتضمن للعلو فهو من صفات الذات والفعل، وأما هذا فهو نوع آخر من صفات الله تعالى الدالة على أنه تعالى فعال لما يريد، وهذا ما أنكره أهل الباطل من معتزلة وغيرهم، فأراد البخاري أن ينبه على بطلان قولهم.

(٢) قوله "وكلامه" ليس في رواية الباب.ولا في اليونينية

المراد بالأمر هنا قوله كن وهو من جملة كلامه وسقط قوله من هذا الموضع وفعله في بعض النسخ قال الكرماني: وهو أولى ليصح لفظ غير مخلوق كذا قال وسياق المصنف يقتضي التفرقة بين الفعل وما ينشأ عن الفعل فالأول من صفة الفاعل والباري غير مخلوق فصفاته غير مخلوقة وأما مفعوله وهوما ينشأ عن فعله فهو مخلوق ومن ثم عقبه بقوله: وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكوَّن والمراد بالأمر هنا المأمور به وهو المراد بقوله تعالى {وكان أمر الله مفعولا}، وبقوله تعالى {والله غالب على أمره} إن قلنا الضمير لله، وبقوله تعالى {لعل اللهَ يحدث بعد ذلك أمرا}، وبقوله تعالى {قل الروح من أمر ربي} وفي الحديث الصحيح «أن الله يحدث من أمره ما يشاء» وفيه «سبُّوح قُدُّوس ربُّ الملائكة والروح» وأما قوله تعالى {ألا له الخلق والأمر} فسيأتي في آخر «كتاب التوحيد»احتجاج ابن عيينة وغيره به على أن القرآن غير مخلوق لأن المراد بالأمر قوله تعالى {كن} وقد عطف على الخلق، والعطف يقتضي المغايرة وكن من كلامه فصح الاستدلال ووهم من ظن أن المراد بالأمر هنا هو المراد بقوله تعالى {وكان أمر الله مفعولا} لأن المراد به في هذه الآية المأمور فهو الذي يوجد بكن، وكن صيغة الأمر وهي من كلام الله وهو غير مخلوق، والذي يوجد بها هو المخلوق وأطلق عليه الأمر لأنه نشأ عنه، ثم وجدت بيان مراده في كتابه الذي أفرده في خلق أفعال العباد فقال: اختلف الناس في الفاعل والفعل والمفعول فقالت القدرية الأفاعيل كلها من البشر، وقالت الجبرية الأفاعيل كلها من الله، وقال الجهمية الفعل والمفعول واحد ولذلك قالوا«كن»مخلوق، وقال السلف: التخليق فعل الله وأفاعيلنا مخلوقة، فَفِعْلُ الله صفة الله والمفعول من سواه من المخلوقات، انتهى.

وأما ابن بطال فقال: غرضه بيان أن جميع السموات والأرض وما بينهما مخلوق، لقيام دلائل الحدوث عليها، ولقيام البرهان على أنه لا خالق غير الله وبطلان قول من يقول إن الطبائع خالقة أو الأفلاك أو النور أو الظلمة أو العرش، فلما فسدت جميع هذه المقالات لقيام الدليل على حدوث ذلك كله وافتقاره إلى محدِثٍ لاستحالة وجود محدَثٍ لا محدِثَ له وكتاب الله شاهد بذلك كآية الباب، استدل بآيات السموات والأرض على وحدانيته وقدرته وأنه الخلاق العظيم وأنه خلاق سائر المخلوقات، لانتفاء الحوادث عنه الدالة على حدوث من يقوم به وأن ذاته وصفاته غير مخلوقة، والقرآن صفة له فهو غير مخلوق ولزم من ذلك أن كل ما سواه كان من أمره وفعله وتكوينه وكل ذلك مخلوق له انتهى.

٢٨ ـ باب قوله تعالى:
{ولقد سبقَت كلِمتُنا لعبادِنا المرسَلينَ} /الصافات:١٧١/.

٧٤٥٣ ـ عن أبي هُريرة رضيَ الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: لما قضَى الله الخلقَ كتبَ عنده فوق عرشِهِ إنَّ رحمتي سبَقت غضبي».

٧٤٥٤ ـ عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ حدَّثنا رسولُ اللهِ ﷺ -وهو الصادق المصدُوق- أنَّ خلقَ أحدِكُم يُجمعُ في بطن أمِّه أربعين يوماً وأربعين ليلةً ثم يكون علقةً مثلَهُ، ثم يكون مُضغَةً مثلَهُ، ثم يُبعَث إليه الملكُ فيُؤذَن بأربع كلماتٍ فيَكتُبُ رزقَه وأجلَه وعملَه وشقيٌّ أم سعيد، ثم يَنفُخُ فيه الرُّوحَ فإنَّ أحدكُم ليعْمَلُ بعمل أهلِ الجنةِ حتى لا يكونُ بينها وبينه إلا ذراعٌ فيَسْبِقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهل النارِ فيدخُلُ النارَ، وإنَّ أحدكم ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ حتى ما يكونُ بينها وبينَهُ إلا ذراعٌ فيَسبِقُ عليه الكتابُ فيعملُ عملَ أهلِ الجنةِ فيدخُلُها».

٧٤٥٥ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: يا جبريل ما يمنعك أن تزورَنا أكثرَ مما تزورُنا، فنزلت: وما نتنزَّلُ إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خَلْفنا -إلى آخر الآية - قال: كان هذا الجوابُ لمحمد ﷺ».

٧٤٥٦ ـ عن عبد الله قال: كنتُ أمشي مع رسولِ الله ﷺ في حرثٍ بالمدينةِ وهو مُتَّكئٌ على عَسيبٍ فمرَّ بقومٍ من اليهودِ فقال: بعضُهم لبعضٍ سلوهُ عن الرُّوح، وقال بعضهم لا تسألُوه فسألوهُ عن الرُّوح، فقام مُتوكئاً على العسيب وأنا خلفَهُ فظنَنْت أنه يوحى إليه فقال: ويسألونكَ عن الرُّوح قل الروحُ من أمرِ ربيٍّ، وماأوتيتم من العلم إلا قليلاً. فقال بعضهم لبعضٍ: قد قُلنا لكم لا تسألوه».

٧٤٥٧ ـ عن أبي هُريرة أن رسولَ الله ﷺ قال: تكَفَّل الله لمن جاهدَ في سبيلِه لا يُخرجُه إلا الجهادُ في سبيله وتصديقِ كلماتِه بأن يُدخِلَه الجنَّةَ، أو يُرْجِعَه إلى مسكنِه الذي خَرجَ منه مع ما نالَ مِن أجرٍ أو غَنيمة».

٧٤٥٨ ـ عن أبي موسى، قال: «جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: الرجلُ يُقاتلُ حَميَّةً ويقاتل شجاعةً ويقاتلُ رياءً فأيُّ ذلك في سبيلِ اللهِ؟ قال: من قاتلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا فهو في سبيلِ اللهِ».

قوله (باب قوله تعالى: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) ذكر فيه ستة أحاديث.

أولها: حديث أبي هريرة: «إن رحمتي سبقت غضبي» وقد تقدم شرحه في باب[١]

(١) كتاب التوحيد باب / ١٥ ح ٧٤٠٤ - ٥ / ٥٥٤

قوله تعالى {ويحذركم الله نفسه} وأشار به إلى ترجيح القول بأن الرحمة من صفات الذات لكون الكلمة من صفات الذات فمهما استشكل في إطلاق السبق في صفة الرحمة جاء مثله في صفة الكلمة، ومهما أجيب به عن قوله سبقت كلمتنا حصل به الجواب عن قوله سبقت رحمتي وقد غفل عن مراده من قال دل وصف الرحمة بالسبق على أنها من صفات الفعل.

٢٩ ـ باب قول اللهِ تعالى {إنما قولُنا لِشيء إذا أردناه} /النحل:٤٠/

٧٤٥٩ ـ عن المغيرة بن شعبةَ قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: لا يزال من أُمَّتي قومٌ ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمرُ الله».

٧٤٦٠ ـ عن معاوية قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: لا يزالُ من أُمَّتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ اللهِ لا يضُرُّهم من كذَّبهم ولا من خذلهم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم على ذلك».

٧٤٦١ ـ عن ابن عباسٍ قال: وقف النبيُّ ﷺ على مُسيلمةَ في أصحابه فقال: لو سَألتني هذه القطعةَ ما أعطيتُكَها ولن تعدُوَ أمرَ اللهِ فيكَ، ولئن أدبرتَ ليَعقِرنَّك اللهُ».

٧٤٦٢ ـ عن ابن مسعودٍ قال: «بينا أنا أمشي مع النبيِّ ﷺ في بعضِ حرثِ المدينةِ وهو يتوكأ على عَسيبٍ معه فمررنا على نفرٍ من اليهود، فقال بعضهم لبعضٍ: سَلُوه عن الرُّوح، فقال بعضهم: لا تسألوه أن يَجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم لَنسألنَّه، فقام إليه رجلٌ منهم فقال: يا أبا القاسم ما الرُّوح؟ فسكَتَ عنه النبيُّ ﷺ، فعلمتُ أنه يُوحَى إليه فقال: ويسألونك عن الرُّوح قُل الروحُ من أمرِ ربيِّ وما أوتوا من العلم إلا قليلا». قال الأعمش: هكذا في قراءتنا

قوله (باب قول الله تعالى: إنما أمرنا لشيء إذا أردناه) وقال ابن بطال: المراد بأمر الله في هذا الحديث الساعة والصواب أمر الله بقيام الساعة فيرجع إلى حكمه وقضائه.

الحديث الرابع: حديث ابن عباس في شأن مسيلمة وقد تقدم بتمامه في في أواخر المغازي[1] مع شرحه، والعرض منه قوله ولن تعدو أمر الله فيك، أي ما قدره عليك من الشقاء أو السعادة.

الحديث الخامس: حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح، وقوله {قل الروح من أمر ربي}.

وأما الأمر في حديث ابن مسعود هذا فإن المراد به المأمور كما يقال الخلق ويراد به المخلوق وقد وقع التصريح في بعض طرق الحديث ففي تفسير السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وعن غيره في قوله تعالى {قل الروح من أمر ربي} يقول هو خَلْقٌ من خَلْق الله ليس هو شيء من أمر الله، وقد اختلف في المراد بالروح المسئول عنها هل هي الروح التي تقوم بها الحياة أو الروح المذكور في قوله تعالى {يوم يقوم الروح والملائكة صفا} وفي قوله تعالى

(١) كتاب المغازي باب / ٧٠ ح ٤٣٧٣ - ٣ / ٤١٣

{تنزل الملائكة والروح فيها} وتمسك من قال بالثاني بأن السؤال إنما يقع في العادة عما لا يعرف إلا بالوحي، والروح التي بها الحياة قد تَكلّمَ الناسُ فيها قديماً وحديثاً بخلاف الروح المذكور فإن أكثر الناس لا علم لهم به بل هي من علم الغيب بخلاف الأولى، وقد أطلق الله لفظ الروح على الوحي في قوله تعالى {وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا} وفي قوله {يلقى الروح من أمره على من يشاء} وعلى القوة والثبات والنصر في قوله تعالى {وأيدهم بروح منه} وعلى جبريل في عدة آيات وعلى عيسى بن مريم ولم يقع في القرآن تسمية روح بني آدم روحاً بل سماها نفساً في قوله: النفس المطمئنة، والنفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، وأخرجوا أنفسكم، ونفس وما سواها، كل نفس ذائقة الموت، وتمسك من زعم بأنها قديمة بإضافتها إلى الله تعالى في قوله تعالى {ونفخت فيه من روحي} ولا حجة فيه لأن الإضافة تقع على صفة تقوم بالموصوف كالعلم والقدرة، وعلى ما ينفصل عنه كبيت الله وناقة الله فقوله: روح الله، من هذا القبيل. الثاني: وهي إضافة تخصيص وتشريف وهي فوق الإضافة العامة التي بمعنى الإيجاد فالإضافة على ثلاث مراتب: إضافة إيجاد وإضافة تشريف وإضافة صفة، والذي يدل على أن الروح مخلوقة عموم قوله تعالى: الله خالق كل شيء، وهو رب كل شيء، ربكم ورب آبائكم الأولين، والأرواح مربوبة وكل مربوب مخلوق رب العالمين.

٣٠ ـ باب قول الله تعالى: {قُل لو كانَ البحرُ مِدَاداً لِكَلِمات ربي لَنَفِدَ البحر قبلَ أن تنفَدَ كلماتُ ربي ولو جِئنا بمثله مدداً} /الكهف:١٠٩/

{ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلامٌ، والبحرُ يُمُدُّه من بعدِه سبعة أبحُرٍ ما نفدت كلمات الله} /لقمان:٢٧/. {إن ربَّكُمُ اللهُ الذي خلقَ السماواتِ والأرضَ في ستة أيامٍ ثم استوى على العرش يُغشي الليلَ النهار يطلُبُه حَثيثاً، والشمسَ والقمرَ والنجومَ مُسخراتٍ بأمرِه، ألا لهُ الخلقُ والأمرُ، تبارك اللهُ ربُّ العالمينَ} الأعراف:٥٤/. سخر: ذَلَّلَ.

٧٤٦٣ ـ عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: تكفل اللهُ لمن جاهد في سبيله لا يُخرجُه من بيتِه إلا الجهادُ في سبيله وتصديقُ كلمتِه أن يُدخِلَه الجنة أو يَرُدَّه إلى مسكنِه بما نال مِن أجرٍ أو غنيمةٍ».

قوله (وقوله ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) جاء في سبب نزولها ما أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس في قصة سؤال اليهود عن الروح ونزول قوله تعالى {قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} قالوا: كيف وقد أوتينا التوراة فنزلت قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي}

الآية فأخرج عبد الرزاق في تفسيره من طريق أبي الجوزاء قال: لو كان شجر في الأرض أقلاماً والبحر مداداً لنفد الماء وتكسرت الأقلام قبل أن تنفد كلمات الله.

٣١ ـ باب في المشيئة والإرادة

وقول الله تعالى {تُؤتي الملكَ مَن تشاء} /آل عمران:٢٦/. {وما تشاءون إلا أن يشاءَ اللهُ- ولا تَقُولنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاءَ الله} /الكهف:٢٣/. {إنكَ لا تهدِي مَن أحببْتَ ولكنَّ اللهَ يهدي من يشاءُ} /القصص:٥٦/.

قال سعيدُ بن المسيَّب عن أبيه نزلَتْ في أبي طالب {يُريدُ الله بكم اليُسرَ ولا يريدُ بكم العسر} /البقرة:١٨٥/.

٧٤٦٤ ـ عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ إذا دعوتمُ الله فاعزموا في الدُّعاءِ، ولا يقولَنَّ أحدكم إن شئتَ فأعطني، فإنَّ الله لا مستكرِه لهُ».

٧٤٦٥ ـ عن عليِّ بن أبي طالبٍ أنَّ رسولِ الله ﷺ طرَقَهُ وفاطمةَ بنتَ رسولِ الله ﷺ ليلةً فقال لهم ألا تُصلُّون، قال عليٌّ: فقلتُ يا رسولَ اللهِ إنَّما أنفسُنا بيَدِ الله فإذا شاء أن يبعثَنا بعثنا، فانصرف رسولُ اللهِ ﷺ حين قلت ذلك ولم يَرجع إليَّ شيئاً، ثم سمعتُهُ وهو مُدْبِرٌ يضرب فخذه ويقول: وكان الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جَدلاً».

٧٤٦٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: مثل المؤمن كمثل خامة الزَّرع يفيءُ ورقُهُ من حيثُ أتتها الريحُ تُكَفِّئُهَا فإذا سكنَت اعتدلت، وكذلكَ المؤمن يُكفَّأُ بالبلاءِ، ومثلُ الكافرِ كمثلِ الأرْزَةِ صمَّاء معتدلة حتى يَقْصِمَها الله إذا شاء».

٧٤٦٧ ـ عن عبد الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو قائم على المنبرِ يقول: إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاةِ العصر إلى غروبِ الشمس، أُعطِيَ أهلُ التوراةِ التوراةَ فعملوا بها حتى انتصف النهارُ ثم عَجَزُوا فأُعْطُوا قيراطاً قيراطاً، ثم أُعطِيَ أهلُ الإنجيلُ الإنجيلَ فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ثم أُعْطِيتم القرآنَ فعمِلتم به حتى غروبِ الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين، قال أهل التوراةِ ربَّنا هؤلاءِ أقلُّ عملا وأكثر أجراً، قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيءٍ؟ قالوا: لا فقال: فذلكَ فضلي أوتيه من أشاء».

٧٤٦٨ ـ عن عبادةَ بن الصامتِ قال: بايعتُ رسولَ الله ﷺ في رهطٍ فقال: أبايعكم علي أن لا تُشركوا باللهِ شيئاً ولا تَسرقُوا ولا تزنوا ولا تقتُلُوا أولادكم ولاتأتوا ببُهتانٍ تَفْتَرُونه بين أيديكم وأرجُلكم ولا تَعصونِي في معروف فمن وفَى منكم فأجرهُ على الله ومن أصابَ من ذلك شيئاً فأخِذ به في الدنيا فهو له كفارةٌ وطهور، ومن ستَره اللهُ فذلك إلى اللهِ إن

شاء عذَّبَهَ وإن شاء غفرَ له.

٧٤٦٩ ـ عن أبي هريرة أنَّ نبيَّ الله سُليمانَ عليه الصلاةُ والسلام كان له ستُّون امرأةً، فقال: لأطوفَنَّ الليلةَ علي نسائي فلتحمِلنَ كلُّ امرأةٍ ولتَلِدْنَ فارساً يقاتل في سبيل الله، فطاف على نسائه فما ولدَت منهن إلا امرأةٌ ولدَتْ شِقَّ غلامٍ قال نبيُّ اللهِ ﷺ: لو كانَ سليمانُ استَثْنى لحملت كلُّ امرأة منهنَّ فولدت فارساً يقاتلُ في سبيل الله».

٧٤٧٠ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل على أعرابيٍّ يعودُهُ، فقال: (لا بأس عليك طَهُورٌ إن شاء الله)، قال: قال الأعرابيُّ طَهورٌ؟ بل هو حُمّي تفور على شيخ كبيرٍ تُزيرُهُ القُبور، قال النبيُّ ﷺ: (فنَعَمْ إذاً).

٧٤٧١ ـ عن عبد اللهِ بن أبي قتادةَ عن أبيه حين ناموا عن الصلاة، «قال النبيُّ ﷺ: إنَّ الله قبض أرواحكم حين شاء وردَّها حين شاء، فقضَوْا حوائجهم وتوضئوا إلى أن طلعتِ الشمسُ وابْيَضَّت فقام فصلَّى».

٧٤٧٢ ـ عن أبي هريرةَ قال: استَبَّ رجلٌ منَ المسلمين ورجلٌ من اليهود، فقال المسلمُ: والذي اصطفى محمداً على العالَمين في قسَم يُقسم به، فقال اليهوديُّ، والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفعَ المسلم يدَه عند ذلك، فَلَطم اليهوديَّ فذهب اليهوديُّ إلى رسول الله ﷺ فأخبرَه بالذي كان من أمرِه وأمر المسلم، فقال النبيُّ ﷺ لا تخيِّروني على موسى فإن الناسَ يُصْعَقُون يوم القيامة فأكون أولَ من يُفيق، فإذا موسى باطِشٌ بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صَعِق فأفاقَ قَبْلي أو كان ممن استثنى اللهُ».

٧٤٧٣ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: المدينة يأتيها الدجال فيجدُ الملائكةَ يحرُسونَها فلا يقرَبُها الدجّالُ ولا الطّاعون إن شاء اللهُ».

٧٤٧٤ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ لكلِّ نبيٍ دعوةٌ فأُريد إن شاء الله أن أختَبيءَ دعوتي شفاعة لأُمَّتي يومَ القيامة».

٧٤٧٥ ـ عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ بيْنا أنا نائمٌ رأيتُني على قليبٍ فنزعت ما شاء الله أن أنزعَ، ثم أخذها ابن أبي قُحافة فنزع ذَنوباً أو ذَنُوبَين وفي نزعه ضعفٌ والله يغفرُ له، ثم أخذها عُمر فاستحالَت غَرْبا فلم أرَ عبقريّاً من الناس يفري فَرِيَّهُ حتى ضربَ الناسُ حوله بعطَن».

٧٤٧٦ ـ عن أبي موسى قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أتاهُ السائلُ، وربَّما قال جاءَهُ السائلُ أو صاحب الحاجةِ قال اشفعوا فلتؤجَروا ويقضي اللهُ على لسانِ رسوله ما شاء».

٧٤٧٧ ـ عن أبي هُريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: لا يقُل أحَدكم اللهمَّ اغفِر لي إن شئتَ،

ارحمني إن شئتَ، ارزُقني إن شئتَ، وليعزم مَسألتَه إنه يفعل ما يشاء لا مُكرِهَ له».

٧٤٧٨ - عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه تَماريَ هو والحُرُّ بن قَيس بن حِصن الفَزاريُّ في صاحبِ موسى أهو خَضِرٌ، فمرَّ بهما أبيُّ بن كعبٍ الأنصاريُّ فدعاه ابن عباسٍ فقال: إني تماريتُ أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سألَ السبيل إلى لُقِيِّهِ هل سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يذكرُ شأنه؟ قال: نعم، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: بينا موسى في ملإِ بني إسرائيلَ إذ جاءَهُ رجلٌ فقال هل تعلم أحداً أعلمُ منك؟ فقال موسى: لا، فأُوحيَ إلى موسى بلَى عبدُنا خَضِر، فسأل موسى السبيلَ إلى لُقيِّهِ فجعل الله له الحوتَ آيةً، وقيل له: إذا فقَدتَ الحوت فارجِعْ فإنك ستلقاه، فكان موسى يتبعُ أثرَ الحوتِ في البحر، فقال فتى موسى لموسى: أرأيتَ إذ أوينا إلى الصخرة فإنِّي نسيت الحوتَ وما أنسانيهِ إلا الشيطانُ أن أذكُرَه، قال موسي: ذلك ما كُنّا نبغي، فارتدّا على آثارِهما قَصَصًا، فوجدا خَضِراً وكان من شأنهما ما قصَّ الله».

٧٤٧٩ - عن أبي هُريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: ننزل غداً إن شاء اللهُ بِخَيْفِ بن كنانةَ حيثُ تقاسموا على الكفر يُريد المحصَّبَ».

٧٤٨٠ - عن عبد الله بن عُمر قال: حاصَرَ النبيُّ ﷺ أهل الطائفِ فلم يفتحها فقال: إنا قافلون إن شاء الله، فقال المسلمون نَقفُل ولم نَفتَح، قال: فاغدوا على القتال فغَدَوا، فأصابتَهُمْ جِراحاتٌ، قال النبيُّ ﷺ إنّآ قافلون غداً إن شاء اللهُ فكأنَّ ذلك أعْجَبَهُم فتبسمَ رسولُ الله ﷺ».

قوله (باب في المشيئة والإرادة) قال الراغب: المشيئة عند الأكثر كالإرادة سواء وعند بعضهم أن المشيئة في الأصل إيجاد الشيء وإصابته فمن الله الإيجاد ومن الناس الإصابة، وفي العرف تستعمل موضع الإرادة.

قوله (وقول الله تعالى: {تؤتي الملك من تَشاء، وقوله: وما تشاؤن إلا إن يشاء الله وقوله: ولا تقولن لشيء إنّي فاعل ذلك غدا إلاَّ أن يشاء الله، وقوله: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}) قال البيهقي بعد أن ساق بسنده إلى الربيع بن سليمان قال الشافعي «المشيئة» إرادة الله وقد أعلم الله خلقه أن المشيئة له دونهم فقال {وما تشاؤن إلا أن يشاء الله} فليست للخلق مشيئة إلا أن يشاء الله، وبه إلى الربيع قال سئل الشافعي عن القدَر فقال:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ   وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

الأبيات، ثم ساق مما تكرر من ذكر المشيئة في الكتاب العزيز أكثر من أربعين موضعًا

منها غير ما ذكر في الترجمة قوله تعالى في البقرة {ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم} وقوله {يختص برحمته من يشاء} وقوله {ولو شاء الله لأعنتكم} وقوله {وعلمه مما يشاء} وقوله في آل عمران {قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء}.

وحرف النزاع بين المعتزلة وأهل السنة أن الإرادة عند أهل السنة تابعة للعلم وعندهم تابعة للأمر، ويدل لأهل السنة قوله تعالى {يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة} وقال ابن بطال: غرض البخاري إثبات المشيئة والإرادة وهما بمعنى واحد.

قال: وهذه المسألة مبنية على القول بأنه سبحانه خالق أفعال العباد وأنهم لا يفعلون إلا ما يشاء، وقد دل على ذلك قوله {وما تشاءون إلا أن يشاء الله} وغيرها من الايات، وقال {ولو شاء الله ما اقتتلوا} ثم أكد ذلك بقوله تعالى {ولكنَّ اللهَ يفعل ما يريد} فدل على أنه فعل اقتتالهم الواقع منهم لكونه مريداً له، وإذا كان هو الفاعل لاقتتالهم فهو المريد لمشيئتهم والفاعل، فثبت بهذه الآية أن كسب العباد إنما هو بمشيئة الله وإرادته، ولو لم يرد وقوعه ما وقع، وقال بعضهم الإرادة على قسمين: إرادة أمر وتشريع، وإرادة قضاء وتقدير، فالأولى تتعلق بالطاعة والمعصية سواء وقعت أم لا، والثانية شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحادثات طاعة ومعصية، وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى {يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا} وفرق بعضهم بين الإرادة والرضى فقالوا: يريد وقوع المعصية ولا يرضاها، لقوله تعالى {ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها} الآية، وقوله {ولا يرضى لعباده الكفر} وتمسكوا أيضاً بقوله {ولا يرضى لعباده الكفر} وأجاب أهل السنة بما أخرجه الطبري وغيره بسند رجاله ثقات عن ابن عباس في قوله تعالى {إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر} يعني بعباده الكفار الذين أراد الله أن يُطَهِّر قلوبهم بقولهم لا إله إلا الله فأراد عباده المخلصين الذين قال فيهم {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان} فحبب إليهم الإيمان وألزمهم كلمة التقوى شهادة أن لا إله إلا الله.

قوله {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} قال سعيد بن المسيب عن أبيه: نزلت في أبي طالب) تقدم موصولاً بتمامه في تفسير سورة القصص[(١)] وتقدم هناك شرحه مستوفى وبعضه في الجنائز.

قوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) معنى إرادة اليسر التخيير بين الصوم في السفر ومع المرض والإفطار بشرطه، وإرادة العسر المنفية الإلزام بالصوم في السفر في جميع الحالات، فالإلزام وهو الذي لا يقع لأنه لا يريده وبهذا تظهر الحكمة في تأخيرها عن الحديث المذكور والفصل بين آيات المشيئة وآيات الإرادة، وقد تكرر ذكر الإرادة في القرآن

(١) كتاب التفسير "القصص" باب / ١ ح ٤٧٧٢ - ٣ / ٦٤٠

في مواضع كثيرة أيضاً، وقد اتفق أهل السنة على أنه لا يقع إلا ما يريده الله تعالى، وأنه مريد لجميع الكائنات وإن لم يكن آمراً بها، وقالت المعتزلة لا يريد الشر لأنه لو أراده لطلبه، وزعموا أن الأمر نفس الإرادة وشنعوا على أهل السنة أنه يلزمهم أن يقولوا أن الفحشاء مرادة لله وينبغي أن ينزه عنها، وانفصل أهل السنة عن ذلك بأن الله تعالى قد يريد الشيء ليعاقب عليه، ولثبوت أنه خلق النار وخلق لها أهلاً وخلق الجنة وخلق لها أهلاً وألزموا المعتزلة بأنهم جعلوا أنه يقع في ملكه ما لا يريد، ويقال إن بعض أئمة السنة أحضر للمناظرة مع بعض أئمة المعتزلة فلما جلس المعتزلي قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال السني: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال المعتزلي: أيشاء ربنا أن يُعصى؟ فقال السني: أفيعُصى ربنا قهراً؟ فقال المعتزلي: أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليَّ بالردى أحسن إليَّ أو أساء؟ فقال السني: إن كان منعك ما هو لك فقد أساء وإن كان منعك ما هو له فإنه يختص برحمته من يشاء فانقطع.

ثم ذكر البخاري بعد الحديث المعلق فيه سبعة عشر حديثاً فيها كلها ذكر المشيئة، وتقدمت كلها في أبواب متفرقة.

الحديث الأول: حديث أنس: إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء أي اجزموا ولا ترددوا. وقد تقدم شرحه في «كتاب الدعوات»[١].

الحديث الثاني: حديث علي وقد تقدم شرحه في «كتاب التهجد» وموضع الدلالة منه قول علي: إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا وأقره ﷺ على ذلك.

الحديث الثالث: حديث أبي هريرة «مثل المؤمن كمثل خامة الزرع» وقد تقدم شرحه في الرقاق، والمراد منه قوله في آخره «يقصمها الله إذا شاء» أي في الوقت الذي سبقت إرادته أن يقصمه فيه.

الحديث الرابع: حديث ابن عمر «إنما بقاؤكم فيما سلف من قبلكم من الأمم» بطوله وقد تقدم شرحه في الصلاة.

الحديث الخامس: حديث عبادة بن الصامت في المبايعة، وقد تقدم شرحه في «كتاب الإيمان»[٢].

الحديث السادس: حديث أبي هريرة في قول سليمان عليه السلام «لأطوفن الليلة على نسائي» وقد تقدم شرحه في أحاديث الأنبياء[٣].

الحديث السابع: حديث ابن عباس في الأعرابي الذي قال: «بل هي حُمّي تفور، وقد تقدم شرحه في الطب».

(١) كتاب الدعوات باب / ١ ح ٦٣٣٨ - ٤ / ٥٦٦
(٢) كتاب الإيمان باب / ١١ ح ١٨ - ١ / ٢٧
(٣) كتاب الأنبياء باب / ٤٠ ح ٣٤٢٤ - ٣ / ٤٩

٣٢ ـ باب قول الله تعالى:
{ولا تنفعُ الشفاعةُ عندَه إلاّ لمن أذنَ له حتى إذا فُزِّعَ عن قُلُوبِهم قالوا: ماذا قالَ ربُّكم؟ قالوا: الحقَّ وهو العليُّ الكبيرُ} /سبأ:٢٣/ ولم يقل ماذا خلَقَ ربُّكم

وقال جل ذِكرُه: {من ذا الذي يشفعُ عندَه إلاّ بإذنِه} /البقرة:٢٥٥/.، وقال مسروق عن ابن مسعودٍ: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماواتِ شيئاً، فإذا فُزِّع عن قُلوبهم وسكَن الصوت عرفوا أنه الحقُّ، ونادَوا ماذا قال ربُّكم قالوا الحقَّ.

ويذكرُ عن جابرٍ «عن عبدِ الله بن أُنيس قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: يَحشُرُ اللهُ العباد فيُناديهم بصوت يسمَعُه مَن بَعُدَ كما يسمعُه مَن قرُبَ: أنا الملِكُ أنا الدَّيان».

٧٤٨١ ـ عن أبي هُريرةَ يَبلُغُ به النبيَّ ﷺ قال: إذا قَضى اللهُ الأمرَ في السماءِ ضرَبَتِ الملائكة بأجنحتِها خُضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صَفوان».

قال عليٌّ وقال غيره: صفوانٍ يَنفُذُهم ذلك، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحقَّ وهو العليُّ الكبير.

٧٤٨٢ ـ عن أبي هريرةَ أنه كان يقول: قال رسولُ الله ﷺ ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ ما أَذِنَ للنبيِّ ﷺ يَتغنَّى بالقرآن، وقال صاحبٌ له: يريدُ: أن يَجْهَرَ به».

٧٤٨٣ ـ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ يقول اللهُ يا آدمُ فيقول لَبَّيك وسعدَيك فينَادَى بصوتٍ: إنَّ اللهَ يأمركَ أن تُخرجَ من ذرِّيتكَ بعثاً إلى النار».

٧٤٨٤ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت ما غِرْتُ على امرأةٍ ما غرتُ على خديجةَ ولقد أمرهُ ربه أنْ يبِّشرها ببيتٍ في الجنَّة».

قوله (باب قول الله تعالى: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وساق إلى آخر الآية ثم قال: ولم يقل ماذا خلق ربكم قال ابن بطال: استدل البخاري بهذا على أن قول الله قديم لذاته قائم بصفاته لم يزل موجوداً به ولا يزال كلامه لا يشبه المخلوقين، خلافاً للمعتزلة التي نفت كلام الله [١].

قال البيهقي في «كتاب الاعتقاد»: القرآن كلام الله وكلام الله صفة من صفات ذاته، وليس شيء من صفات ذاته مخلوقاً ولا مُحدَثاً ولا حادثاً.

قال تعالى: {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون} فلو كان القرآن مخلوقاً

---

(١) مراد البخاري رحمه الله من الآية أنها تدل على أن لله كلاماً يتكلم به ويقوله بصوته وأنه يُسمع منه كما هو ظاهر الآية أما ما قررة ابن بطال هنا من أنه مراد البخاري فهو بعيد بل مخالف لمراده. "عن شرح الغنيمان .

لكان مخلوقاً بكن ويستحيل أن يكون قول الله لشيء بقول لأنه يوجب قولاً ثانياً وثالثاً فيتسلسل وهو فاسد، وقال الله تعالى: {الرحمن علم القرآن خلق الإنسان} فخص القرآن بالتعليم لأنه كلامه وصفته، وخص الإنسان بالتخليق لأنه خلقه ومصنوعه، ولولا ذلك لقال خلق القرآن والإنسان، وقال الله تعالى {وكلّم الله موسى تكليما} ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم قائماً بغيره، وقال الله تعالى {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا} الآية، فلو كان لا يوجد إلا مخلوقاً في شيء مخلوق لم يكن لاشتراط الوجوه المذكورة في الآية معنى لاستواء جميع الخلق في سماعه عن غير الله فبطل قول الجهمية أنه مخلوق في غير الله، ويلزمهم في قولهم أن الله خلق كلاماً في شجرة كلم به موسى أن يكون من سمع كلام الله من ملك أو نبي أفضل في سماع الكلام من موسى، ويلزمهم أن تكون الشجرة هي المتكلمة بما ذكر الله أنه كلم به موسى وهو قوله {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني} وقد أنكر الله تعالى قول المشركين إن هذا إلا قول البشر، ولا يعترض بقوله تعالى {إنه لقول رسول كريم} لأن معناه قول تلقاه عن رسول كريم كقوله تعالى {فأجره حتى يسمعَ كلامَ الله} ولا بقوله {إنّا جعلناه قرآناً عربياً} لأن معناه سميناه قرآناً، وهو كقوله {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون} وقوله {ويجعلون لله ما يكرهون} وقوله {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث} فالمراد أن تنزيله إلينا هو المحدث لا الذكر نفسه، وبهذا احتج الإمام أحمد ثم ساق البيهقي حديث نيار بن مكرم أن أبا بكر قرأ عليهم سورة الروم فقالوا هذا كلامك أو كلام صاحبك، قال ليس كلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله، وأصل هذا الحديث أخرجه الترمذي مصححاً، وعن علي بن أبي طالب ما حكّمت مخلوقاً، ما حكّمت إلا القرآن.

وقال ابن حزم في الملل والنحل: أجمع أهل الإسلام على أن الله تعالى كلم موسى، وعلى أن القرآن كلام الله وكذا غيره من الكتب المنزلة والصحف.

وذهب بعض الحنابلة وغيرهم إلى أن القرآن العربي كلام الله وكذا التوراة، وأن الله لم يزل متكلماً إذا شاء وأنه تكلم بحروف القرآن وأسمع من شاء من الملائكة والأنبياء صوته.

والمحفوظ عن جمهور السلف ترك الخوض في ذلك والتعمق فيه والاقتصار على القول بأن القرآن كلام الله وأنه غير مخلوق ثم السكوت عما وراء ذلك.

قوله (وقال مسروق عن ابن مسعودٍ إذا تكلم الله تبارك وتعالى[١] بالوحي سمع أهل السموات، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا ماذا قال: ربكم؟ قالوا: الحق) وقد وصله البيهقي في الأسماء والصفات وهكذا أخرجه أحمد عن أبي معاوية ولفظه «إن الله عز وجل إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة

(١) رواية الباب واليونينية ".... إذا تكلم الله" بدون "تبارك وتعالى"

على الصفا فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، فإذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم» قال: ويقولون يا جبريل ماذا قال ربكم قال: فيقول الحق قال: فينادون الحق الحق».

قوله (الديان) قال الحليمي هو مأخوذ من قوله «ملك يوم الدين» وهو المحاسب المجازي لا يُضيع عمل عامل انتهى.

وفي الحديث إثبات الشفاعة وأنكرها الخوارج والمعتزلة، وهي أنواع أثبتها أهل السنة منها الخلاص من هول الموقف وهي خاصة بمحمد رسول الله المصطفى ﷺ كما تقدم بيان ذلك واضحاً في الرقاق، وهذه لا ينكرها أحد من فرق الأمة، ومنها الشفاعة في قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

ومنها الشفاعة في إخراج قوم من النار عصاة أُدخلوها بذنوبهم، وقد ثبتت بها الأخبار الكثيرة، وأطبق أهل السنة على قبولها وبالله التوفيق.

الحديث الرابع: حديث أبي هريرة في التغني بالقرآن، وقد مضى شرحه في فضائل القرآن[١].

قوله (فينادِي بصوت إن الله يأمرك أن تُخرِجَ من ذريتك بعثاً إلى النار) هذا آخر ما أورد منه من هذه الطريق، وقد أخرجه بتمامه في تفسير سورة الحج بالسند المذكور هنا ووقع «فينادِي»، وقد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة سألت أبي عن قوم يقولون لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت، فقال لي أبي: بل تكلم بصوت، هذه الأحاديث تروى كما جاءت.

٣٣ ـ باب كلام الربِّ مع جبريلَ ونداءِ اللهِ الملائكةَ

وقال معمر وإنك لتُلقى القرآن -أي يُلقى عليك، وتلقاه أنت -أي وتأخذُه عنهم- ومثله، {فتلقَّى آدمُ من ربِّه كلمات} /البقرة:٣٧/.

٧٤٨٥ ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أحبَّ عبداً نادى جبريلَ إنَّ اللهَ قد أحبَّ فلاناً فأحبه فيُحبُّه جبريل ثم يُنادي جبريلُ في السماء إنَّ الله قد أحبَّ فلاناً فأحبُّوه فيحبُّه أهلُ السماء ويوضع له القبولُ في أهل الأرض».

٧٤٨٦ ـ عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: يتعاقبون فِيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرُج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلمُ بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلُّون، وأتيناهم وهم يُصلُّون».

---

(١) كتاب فضائل القرآن باب / ١٩ ح ٥٠٢٣ - ٤ / ٢٠

٧٤٨٧ ـ عن أبي ذرٍّ عن النبيِّ ﷺ قال: أتاني جبريلُ فبشرني أنه من ماتَ لا يُشركُ بالله شيئاً دخل الجنةَ، قلتُ: وإن سرقَ وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زنى».

قوله (باب كلام الرب تعالى[1] مع جبريل ونداء الله الملائكة)[2] ذكر فيه أثراً وثلاثة أحاديث، في الحديث الأول: نداء الله جبريل، وفي الثاني: سؤال الله الملائكة على عكس ما وقع في الترجمة، وكأنه أشار إلى ما ورد في بعض طرقه، ووقع عند مسلم من طريق سهيل ابن أبي صالح عن أبيه في هذا الحديث «أن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه».

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة في تعبيره عن كثرة الإحسان بالحب تأنيس العباد وإدخال المسرة عليهم لأن العبد إذا سمع عن مولاه أنه يحبه حصل على أعلى السرور عنده وتحقق بكل خير، ثم قال: وهذا إنما يتأتى لمن في طبعه فتوة ومروءة وحسن إنابة كما قال تعالى {وما يتذكر إلا من ينيب} وأما من في نفسه رعونة وله شهوة غالبة فلا يرده إلا الزجر بالتعنيف والضرب، قال: وفي تقديم الأمر بذلك لجبريل قبل غيره من الملائكة إظهار لرفيع منزلته عند الله تعالى على غيره منهم، قال: ويؤخذ من هذا الحديث الحث على توفية أعمال البر على اختلاف أنواعها فرضها وسنتها، ويؤخذ منه أيضاً كثرة التحذير عن المعاصي والبدع لأنها مظنة السخط وبالله التوفيق.

٣٤ ـ باب قول الله تعالى:
{أنزله بعلمه والملائكة يشهدون} /النساء:١٦٦/.

قال مجاهد: يتنزل الأمرُ بينهنَّ وبين السماء السابعة والأرض السابعة

٧٤٨٨ ـ عن البراء بن عازب قال: قال رسولُ الله ﷺ يا فلانُ إذا أويْتَ إلى فراشِكَ فقل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك، ووجهتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنْزلتَ، وبنبيِّك الذي أرسلتَ فإنك إن مُتَّ في ليلتِكَ مُتَّ على الفِطرة، وإن أصبحتَ أُصبتَ أجراً».

٧٤٨٩ ـ عن عبد الله بن أبي أوفى قال قال رسولُ الله ﷺ يوم الأحزاب: اللهمَّ مُنزلَ

---

(١) رواية الباب واليونينية بدون لفظ "تعالى" ص ٤٦١

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه: "السلف والأئمة يقولون: إن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه تعالى قديم النوع، بمعنى أنه لم يزل متكلماً إذا شاء، فإن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته، ومن لا يزال متكلماً بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام ممكنا له بعد أن يكون ...".وقال أيضاً: "والصواب أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته وأن كلماته لا نهاية لها وأنه نادى موسى بصوت سمعه، وإنما ناداه حتى أتى، لم يناده قبل ذلك، وأن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد، كما أن علمه لا يماثل علمهم. مجموع الفتاوى/٥٧٩.

الكتابِ، سَرِيعَ الحسابِ، اهزِمِ الأحزابَ وزلزلهم».

٧٤٩٠ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما: ولا تَجْهَر بصلاتكَ ولا تخافتْ بها، قال: أُنزِلت ورسولُ الله ﷺ مُتَوَارٍ بمكةَ، فكان إذا رفع صوتهَ سمع المشركون فسبُّوا القرآن ومن أنزلَهُ ومن جاء به، وقال تعالى: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها، لا تجهر بصلاتك حتى يسمعَ المشركون، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تُسمعهم، وابتغ بين ذلك سبيلا، أسمِعهم ولا تجهَر حتى يأخذوا عنك القرآنَ».

قوله (باب قوله[١]: أنزله بعلمه والملائكة يشهدون) كذا للجميع ونقل في تفسير الطبري «أنزله إليك بعلم منه أنك خيرته من خلقه»[٢] قال ابن بطال: المراد بالإنزال إفهام العباد معاني الفروض التي في القرآن وليس إنزاله له كإنزال الأجسام المخلوقة لأن القرآن ليس بجسم ولا مخلوق، انتهى، والكلام الثاني متفق عليه بين أهل السنة سلفاً وخلفاً، وأما الأول فهو على طريقة أهل التأويل، والمنقول عن السلف اتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، تلقاه جبريل عن الله وبلغه جبريل إلى محمد عليه الصلاة والسلام وبلغه ﷺ إلى أمته.

قوله (قال مجاهد: يتنزل الأمر بينهن: بين[٣] السماء السابعة والأرض السابعة) وقد وصله الفريابي والطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ «من السماء السابعة إلى الأرض السابعة»

ثم ذكر فيه ثلاثة أحاديث، الحديث الأول: حديث البراء في القول عند النوم، وقد تقدم شرحه مستوفى في «كتاب الأدعية»[٤] والمراد منه قوله فيه «آمنت بكتابك الذي أنزلت».

الحديث الثاني: حديث عبد الله بن أبي أوفى وقد تقدم شرحه في «كتاب الجهاد»[٥] والغرض منه هنا «اللهم منزل الكتاب».

الحديث الثالث: حديث ابن عباس في قوله تعالى {ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها} أنزلت ورسول الله ﷺ متوار بمكة الحديث، وقد تقدم شرحه في آخر تفسير سورة سبحان[٦]،

---

(١) ترجمة الباب واليونينية "باب قول الله تعالى .

(٢) قال ابن الجوزي: "فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنزله وفيه علمه قاله الزجاج، الثاني: أنزله من علمه ذكره أبو سليمان الدمشقي، الثالث: أنزله إليك بعلم منه أنك خيرته من خلقه قاله ابن جرير الطبري، انتهى، من زاد المسير وقال ابن كثير: "أنزله بعلمه" أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البينات والهدى والفرقان، وما يحبه وما يرضاه، وما يكرهه ويأباه، انتهى مختصراً من تفسير ابن كثير ٢/٤٢٨.

(٣) رواية الباب «.... وبين السماء السابعة...» واليونينية توافق الشرح.

(٤) كتاب الدعوات باب / ٧ ح ٦٣١٣ - ٤ / ٥٧٣.

(٥) بل في كتاب المغازي باب / ٢٩ ح ٤١١٥ - ٣ / ٣١٢.

(٦) كتاب التفسير «الإسراء» باب / ١٤ ح ٤٧٢٢ - ٣ / ٥٩٠.

والمراد منه هنا قوله «أنزلت» والايات المصرحة بلفظ الإنزال والتنزيل في القرآن كثيرة، قال الراغب: الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إلى إنزاله متفرقاً ومرة بعد أخرى، والإنزال أعم من ذلك، ومنه قوله تعالي {إنا أنزلناه في ليلة القدر}.

٣٥ ـ باب قول الله تعالى: {يُريدون أن يبدِّلوا كلامَ الله} /الفتح:١٥/

إنَّه لقَولٌ فَصلٌ: حق، وما هو بالهزل: باللعب.

٧٤٩١ ـ عن أبي هريرة قال: قال النبيُّ ﷺ قال اللهُ تعالى: يُؤذِيني ابنُ آدمَ يسُبُّ الدهرَ وأنا الدهرُ، بيدي الأمرُ أقلِّب الليلَ والنهارَ».

٧٤٩٢ ـ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: يقول اللهُ عز وجلَّ: الصوْم لي وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوتَه وأكلَهُ وشربَهُ من أجلي، والصومُ جُنَّةٌ وللصائم فرحتان فرحة حين يُفطر وفرحةٌ حين يلقى ربه، ولخلوفُ فَمِ الصائم أطيَبُ عند الله من ريح المسك.

٧٤٩٣ ـ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: بينما أيوب يغتَسل عُرياناً خَرَّ عليهِ رِجلُ جَراد من ذهب، فجعل يَحثِي في ثوبه، فناداه ربُّهُ، يا أيوبُ ألم أكن أغنيتُك عما ترى؟ قال: بلى يارب، ولكن لا غنى بي عن بركتك.

٧٤٩٤ ـ عن أبي هُريرة أن رسولَ الله ﷺ قال: يَتنزَّل ربُّنا تباركَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلُثُ الليلِ الآخِرُ فيقول: مَن يدعوني فأستجيبَ له، من يسألُني فأُعطيَه، من يَستغفِرُني فأغفِرَ له».

٧٤٩٥ ـ عن أبي هُريرةَ أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: نحن الآخرون السابِقون يومَ القِيامةِ».

٧٤٩٦ ـ وبهذا الإسنادِ قال اللهُ: أنفِقْ أُنفِقْ عليك.

٧٤٩٧ ـ عن أبي هريرة قال: هذه خديجةُ أتتك بإناءٍ فيه طعام أو إناء فيه شرابٌ فأقرِئها من ربِّها السَّلام وبشِّرها ببيتٍ من قصَبٍ لا صخبَ فيه ولا نصب».

٨٤٩٨ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: قال اللهُ أعددتُ لعبادِي الصالحين مالا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بشَر».

٧٤٩٩ ـ عن ابن عباس قال: كان النبيُّ ﷺ إذا تهجَّدَ من الليل قال: اللهم لك الحمدُ أنتَ نورُ السماوات والأرض، ولك الحمدُ أنت قيم السماواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ أنت ربُّ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، أنت الحقُّ، ووعدُكَ الحقُّ، وقولُكَ الحقُّ، ولقاؤك الحقُّ، والجنةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والنبيُّون حقٌ، والساعةُ حقٌّ، اللهم لك أسلمتُ وبك آمنتُ وعليك

توكلتُ وإليك أنبْتُ وبك خاصَمتُ وإليك حاكَمتُ فاغفر لي ما قدمتُ وما أخَّرتُ وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت إلهي لا إله إلا أنتَ».

٧٥٠٠ ـ عن عائشةَ زوج النبيِّ ﷺ حين قال لها أهلُ الإفكِ ماقالوا فبرّأها اللهُ مما قالوا، وقالت: ولكن والله ما كنتُ أظنُّ أن اللهَ يُنزِلُ براءتي وحياً يُتلى ولَشأني في نفسي كان أحقرَ من أنْ يتكلَّمَ اللهُ فيَّ بأمرٍ يُتْلى، ولكني كنتُ أرجو أن يَرى رسولُ اللهِ ﷺ في النوم رُؤيا يُبرِّئُني اللهُ بها فأنزلَ اللهُ تعالى {إنَّ الذين جاءوا بالإفك} العشرَ الآيات».

٧٥٠١ ـ عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: يقول الله: إذا أرادَ عبدي أن يعملَ سيئةً فلا تكتُبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلِها، وإن تركها من أجلِي فاكتبوها له حسنةً، وإذا أرادَ أن يعمل حسنةً فلم يعملها، فاكتبوها له حسنةً فإن عمَلها فاكتبوها له بعشرِ أمثالها إلى سبعمائةٍ».

٧٥٠٢ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: خلَق اللهُ الخلقَ فلما فرَغَ منه قامتِ الرَّحِم فقال: مَهْ، قالت: هذا مقامُ العائذ بك من القطيعَةِ، فقال: ألا ترضَيْنَ أن أصلَ من وصَلَكِ، وأقطعَ من قطعَكِ؟ قالت: بلَى يارَبِّ، قال: فذلكَ لكِ، ثم قال أبو هريرة: «فهل عَسَيتُم إن توليتُم أن تُفسِدوا في الأرض وتُقَطِّعوا أرحامكم؟».

٧٥٠٣ ـ عن زيدِ بن خالدٍ قال: مُطِرَ النبيُّ ﷺ فقال: قال اللهُ: أصبَحَ من عبادِي كافرٌ بي ومُؤمنٌ بي».

٧٥٠٤ ـ عن أبي هريرَةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: قال اللهُ إذا أحبَّ عبدِي لقائي أحببتُ لِقاءَهُ، وإذا كرِهِ لقائي كرهتُ لقاءَهُ».

٧٥٠٥ ـ عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: قال اللهُ أنا عند ظنِّ عبدي بي».

٧٥٠٦ ـ عن أبي هريرة أنَّ رسولَ اللهَ ﷺ قال: قال رجلٌ -لم يعمل خيراً قطُّ- إذا مات فحرِّقوه واذروا نِصفَه في البرِّ ونصفَه في البحرِ، فواللهِ لئن قَدَر اللهُ عليه ليُعَذِّبَنَّهُ عذاباً لا يَعذِّبه أحداً من العالمين، فأمر اللهُ البحرَ فجمعَ ما فيه، وأمر البرَّ فجمع ما فيه، ثم قال: لِمَ فعلتَ؟ قال: من خشيتِك وأنت أعلمُ، فغفرَ له».

٧٥٠٧ ـ عن أبي هريرةَ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ قال: إنَّ عبداً أصابَ ذنباً -وربما قال: أذنب ذنباً- فقال: ربِّ أذنَبتُ ذنباً -وربما قال أصبْت- فاغفر، فقال ربُّه أعَلِمَ عبدي أنَّ لهُ ربّاً يغفرُ الذَّنبَ ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي: ثم مكث ماشاء اللهُ، ثم أصابَ ذنباً - فقال رب أذنبْتُ أو أصبْتُ - آخرَ فاغفرهُ، فقال: أعَلِمَ عبدي أنَّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي ثم مكث ما شاء اللهُ ثم أذنَ ذنبا - وربما قال أصاب ذنباً- فقال: ربِّ أصبتُ

- أو أذنبتُ - آخر فاغفره لي، فقال أعَلِم عبدي أن له رباً يغفرُ الذنبَ ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء».

٧٥٠٨ ـ عن أبي سعيد عن النبيِّ ﷺ أنه ذكر رجلاً فيمن سلَف -أو فيمن كان قبلَكم- قال كلمةً يعني أعطاهُ اللهُ مالاً وولداً، فلما حضرت الوفاة قال لبنيه: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أب. قال: فإنه لم يَبْتَئر -أو لم يبتئز- عند الله خيراً وإن يقدر اللهُ عليه يعذِّبهُ، فانظروا إذا متُّ فأحرِقوني حتى إذا صرتُ فحماً فاسحَقُوني -أو قال فاسحكوني- فإذا كان يومُ ريح عاصفٍ فأذروني فيها، فقال: نبيَّ الله ﷺ: فأخذَ مواثيقَهم على ذلك وربِّي، ففعلوا ثم أذْرَوهُ في يومٍ عاصفٍ، فقال الله عز وجلَّ كُنْ. فإذا هو رجلٌ قائمٌ. قال اللهُ: أي عبدي ما حملك على أن فعلتَ ما فعلت؟ قال: مخافَتُك -أو فَرَقٌ منكَ- قال: فما تلافاهُ أن رحمهُ عندها، وقال مَرَّةً أخرى: فما تلافاه غيرُها فحدَّثتُ به أبا عُثمانَ فقال: سمعتُ هذا من سلمان غير أنه زاد فيه: أذرُوني في البحر أو كما حدَّث».

قوله (باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله) قال ابن بطال أراد بهذه الترجمة وأحاديثها ما أراد في الأبواب قبلها أن كلام الله تعالى صفة قائمة به وأنه لم يزل متكلماً ولا يزال، ثم أخذ في ذكر سبب نزول الآية، والذي يظهر أن غرضه أن كلام الله لا يختص بالقرآن فإنه ليس نوعاً واحداً كما تقدم نقله عمن قاله، وأنه وإن كان غير مخلوق وهو صفة قائمة به فإنه يلقيه على من يشاء من عباده بحسب حاجاتهم في الأحكام الشرعية وغيرها من مصالحهم، وأحاديث الباب كالمصرحة بهذا المراد.

قوله (قال الله[١] يؤذيني ابن آدم يسب الدهر) الحديث والغرض منه هنا إثبات إسناد القول إليه سبحانه وتعالى وقوله «يؤذيني» أي ينسب إليَّ ما لا يليق بي، وتقدم له توجيه آخر في تفسير سورة الجاثية[٢] مع سائر مباحثه وهو من الأحاديث القدسية.

الحديث الثالث: حديث أبي هريرة أيضاً في اغتسال أيوب عليه السلام عرياناً، وقد تقدم في «كتاب الطهارة»[٣].

قوله (أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، وبهذا الإسناد قال الله أنفق أنفق عليك) والغرض من هذا الحديث نسبة هذا القول إلى الله سبحانه وهو قوله «أنفق أنفق عليك» وهو من الأحاديث القدسية.

قوله (يقول الله تعالى[٤]: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى

---

(١) رواية الباب واليونينية "قال الله تعالى....."
(٢) كتاب التفسير "الجاثية" ح ٤٨٢٦ - ٣ / ٦٨١
(٣) كتاب الغسل باب / ٢٠ ح ٢٧٩ - ١ / ٢٠١
(٤) في رواية الباب واليونينية بدون لفظ " تعالى"

يعملها) تقدم شرحه في الرقاق في باب «من هم بحسنة أو سيئةٍ» وهو من الأحاديث القدسية أيضاً، وكذا الأربعة بعده، ومناسبته للباب ظاهرة أيضاً.

الحديث الحادي عشر: حديث أبي هريرة أيضاً فيما يتعلق بالرحم وفيه قال: «ألا ترضين أن أصل من وصلك» وفيه «قالت: بلى يا رب» وقد تقدم شرحه في أوائل «كتاب الأدب».

قال النووي: الرحم التي توصل وتقطع إنما هي معنى من المعاني لا يتأتى منها الكلام إذ هي قرابة تجمعها رحم واحدة فيتصل بعضها ببعض، فالمراد تعظيم شأنها وبيان فضيلة من وصلها وإثم من قطعها فورد الكلام على عادة العرب في استعمال الاستعارات، وقال غيره يجوز حمله علي ظاهره وتجسد المعاني غير ممتنع في القدرة.

قال ابن بطال: في هذا الحديث أن المصر على المعصية في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له مغلباً الحسنة التي جاء بها وهي اعتقاده أن له رباً خالقاً يعذبه ويغفر له واستغفاره إياه على ذلك يدل عليه قوله: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ولا حسنة أعظم من التوحيد، فإن قيل إن استغفاره ربه توبة منه قلنا ليس الاستغفار أكثر من طلب المغفرة، وقد يطلبها المصرُّ والتائب ولا دليل في الحديث على أنه تائب مما سأل الغفران عنه، لأن حد التوبة الرجوع عن الذنب والعزم أن لا يعود إليه والإقلاع عنه والاستغفار بمجرده لا يهم منه ذلك انتهى، وقال غيره شروط التوبة ثلاثة: الإقلاع والندم والعزم على أن لا يعود، والتعبير بالرجوع عن الذنب لا يفيد معنى الندم بل هو إلى معنى الإقلاع أقرب وقال بعضهم: يكفي في التوبة تحقق الندم على وقوعه منه فإنه يستلزم الإقلاع عنه والعزم على عدم العود فهما ناشئان عن الندم لا أصلان معه.

وقال القرطبي في «المفهم»: يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه، لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت معناه في القلب مقارناً للسان لينحل به عقد الإصرار ويحصل معه الندم فهو ترجمة للتوبة، ويشهد له حديث خياركم كل مفتن تواب، ومعناه الذي يتكرر منه الذنب والتوبة فكلما وقع في الذنب عاد إلى التوبة لا من قال أستغفر الله بلسانه وقلبه مصر على تلك المعصية، فهذا الذي استغفاره يحتاج إلى الاستغفار.

قال النووي في الحديث: أن الذنب ولو تكرر مائة مرة بل ألف وأكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته أو تاب عن الجميع توبة واحدة صحتْ توبته.

قوله (اعمل ما شئت) معناه ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك، وذكر في «كتاب الأذكار» عن الربعي بن خيثم أنه قال لا تقل: أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنباً وكذباً إن لم تفعل

بل قل: اللهم اغفر لي وتب علي، قال النووي هذا حسن، وأما كراهية أستغفر الله وتسميته كذباً فلا يوافق عليه لأن معنى أستغفر الله أطلب مغفرته وليس هذا كذباً، قال ويكفي في رده حديث ابن مسعود بلفظ: من قال أستغفر الله الذي لا إله هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف، أخرجه أبو داود والترمذي وصححه الحاكم.

قلت: هذا في لفظ أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأما أتوب إليه فهو الذي عني الربيع رحمه الله أنه كذب وهو كذلك إذا قاله ولم يفعل التوبة كما قال وفي الاستدلال للرد عليه بحديث ابن مسعود نظر لجواز أن يكون المراد منه ما إذا قالها وفعل شروط التوبة ويحتمل أن يكون الربيع قصد مجموع اللفظين لا خصوص أستغفر الله فيصح كلامه كله والله أعلم، ورأيت في الحلبيات للسبكي الكبير: الاستغفار طلب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أو بهما، فالأول فيه نفع لأنه خير من السكوت ولأنه يعتاد قول الخير، والثاني نافع جداً، والثالث أبلغ منهما لكنهما لا يمحصان الذنب حتى توجد التوبة، فإن العاصي المصر يطلب المغفرة ولا يستلزم ذلك وجود التوبة منه، إلى أن قال: والذي ذكرته من أن معنى الاستغفار هو غير معنى التوبة هو بحسب وضع اللفظ، لكنه غلب عند كثير من الناس أن لفظ أستغفر الله معناه التوبة فمن كان ذلك معتقدة فهو يريد التوبة لا محالة، ثم قال: وذكر بعض العلماء أن التوبة لا تتم إلا بالاستغفار لقوله تعالى {وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه} والمشهور أنه لا يشترط.

٣٦ ـ باب كلام الربِّ عزَّ وجلَّ يوم القيامةِ مع الأنبياء وغيرهم

٧٥٠٩ـ عن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: إذا كان يومُ القيامةِ شُفِّعْتُ فقلت يا ربِّ أدخل الجنة من كان في قلبه خردلةٌ فيدخلون، ثم أقولُ: أدخل الجنةَ من كان في قلبهِ أدنى شيء، فقال: أنسٌ كأنّي أنظر إلى أصابع رسولِ الله ﷺ».

٧٥١٠ ـ عن مَعبَد بن هلالٍ العَنزيُّ قال: اجتمعْنا ناسٌ من أهلِ البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك وذهبنا معَنا بثابتٍ البُناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة فإذا هُوَ في قَصره فوافقناهُ يُصلِّي الضُّحَى فاستأذَنَّا فأذِن لنا وهو قاعدٌ على فراشِه. فقُلنا لِثابتٍ لا تسأله عن شيء أولَ من حديث الشفاعةِ فقال يا أباحمزةَ هؤلاء إخوانك من أهلِ البصرة جاءوك يسألونَك عن حديث الشفاعةِ فقال: حدثنا محمد ﷺ قال: إذا كان يومُ القيامةِ ماجَ الناسُ في بعضٍ فيأتون آدمَ فيقولون: اشفَع لنا إلى ربك فيقولُ لستُ لها، ولكن عليكم بإبراهيمَ فإنه خليلُ الرحمن، فيأتونَ إبراهيمَ فيقولُ لستُ لها، ولكن عليكم بموسى فإنهُ كليمُ اللهِ فيأتون موسى، فيقول لستُ لها ولكن عليكم بعيسى فإنه رُوح الله وكلمَته، فيأتون عيسى

فيقول: لستُ لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتوني فأقولُ: أنا لها، فأستأذنُ على ربي فيؤذَنُ لي ويُلهمني مَحامِد أحمَدُه بها لا تحضُرُني الآن فأحمدُهُ بتلك المحامدِ وأخرُّ له ساجداً، يقال يا محمدُ ارفع رأسكَ، وقُل يُسمَع لك، وسَل تُعطَ واشفَع تُشفَعْ، فأقولُ يا ربِّ أُمّتي أُمّتي! فيقال: انطلق فأخرِجِ منها من كان في قلبه مثقالُ شعيرةٍ من إيمانٍ فأنطلقُ فأفعلُ ثم أعودُ فأحمدُه بتلك المحامدِ ثم أخرُّ لها ساجداً، فيقال يا محمد ارفَع رأسك، وقُل يُسمَع لك، وسل تُعطَ ، واشفَع تُشفَّع، فأقول يا رب أُمّتي فيقال انطلق فأخْرِجْ منها من كان في قلبه مِثقال ذرَّةٍ أو خردَلة من إيمان، فأنطلقُ فأفعَلُ ثم أعودُ فأحمده بتلك المحامدِ ثم أخِرُّ له ساجداً، فيقال يا محمدُ ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسَل تُعط واشفع تشفَّعْ، فأقول يا رب أُمّتي أمتي فيقول انطلِق فأخرج من كان في قلبه أدنَى مثقالِ حبَّةِ خرْدَل مِن إيمان فأخرجه من النار من النارِ من النار، فأنطلقُ فأفعَلُ، فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعضِ أصحابنا لو مَرَرْنا بالحَسن وهو متوارٍ في منزل أبي خَليفة فحدثنا بما حدثنا أنس بن مالك فأتيناه فسلَّمنا عليه فأذِن لنا فقلنا له: يا أبا سعيدٍ جئناك من عند أخيكَ أنس بن مالك فلم نرَ مِثلَ ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هِيه فحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هِيه، فقلنا لم يَزد لنا على هذا فقال: لقد حدثني وهو جميعٌ منذ عشرينَ سنةً فلا أدري أنسِيَ أم كره أن تتّكلوا، فقلنا: يا أبا سعيد فحدِّثناه فضحِك، وقال: خُلِق الإنسانُ عَجُولا، ما ذكرتهُ إلا وأنا أريدُ أحدِّثُكم، حدثني كما حدثكم به، قال: ثم أعودُ الرابعَةَ فأحمدُه بتلك، ثم أخِرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقُل يُسمع، وسل تُعطَ، واشفَع تُشفَّع، فأقول يا رب ائذَن لي فيمن قال: لا إله إلا اللهُ فيقول: وعزَّتي وجلالي وكِبريائي وعظمتي لأخرِجَنَّ منها من قال لا إله إلا اللهُ.

٧٥١١ ـ عن عبد اللهِ قال: «قال رسولُ اللهِ ﷺ إن آخِرَ أهلِ الجنةِ دخولاً الجنةَ، وآخر أهل النار خروجاً من النارِ رجلٌ يخرجُ حبْواً، فيقول له ربُّه ادْخُل الجنةَ، فيقولُ ربِّ الجنةُ مَلأى، فيقول له ذلكَ ثلاثَ مَرّاتٍ، فكلُّ ذلك يُعيد عليه، الجنةُ مَلأى، فيقول إنَّ لكَ مثلَ الدنيا عشرَ مرار».

٧٥١٢ ـ عن عدي بن حاتم قال: «قال رسولُ الله ﷺ ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلمهُ ربهُ ليس بينَهُ وبينَهُ تُرجُمان فينظرُ أيمنَ منهُ فلا يرى إلا ما قدَّمَ من عمله، وينظرُ أشأَمَ منه فلا يَرَى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ بين يديه فلا يرى إلاَّ النارَ تِلْقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النار ولو بِشِقِّ تمرةٍ».

٧٥١٣ ـ عن عبد اللهِ رضيَ الله عنه قال: جاءَ حَبرة من اليهودِ فقال: إنه إذا كان يومُ

القيامة جعل اللهُ السموات على إصبع والأرضين على إصبع والماء والثرى على إصبع والخلائقَ على إصبع ثم يَهزُّهُنَّ ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، فلقد رأيتُ النبيَّ ﷺ يضحك حتى بَدَت نواجِذُه تعجُّباً وتصديقاً لقوله، ثم قال النبيُّ ﷺ: «وما قدَروا اللهَ حقَّ قدرِه -إلى قوله- يشركون».

٧٥١٤ ـ عن صفوانَ بنِ مُحرِز «أنَّ رجلاً سأل ابن عمر: كيف سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: يدنو أحدُكم من ربِّه حتى يضعَ كنفَه عليه فيقول: أعمِلتَ كذا وكذا؟ فيقولُ: نعم، ويقول عملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيَقرِّرُهُ ثم يقول إني سَترتُ عليك في الدنيا، وأنا أغفِرها لك اليوم».

قوله (باب كلام الرب تعالى[١] يوم القيامة مع الأنبياء وغيره) ذكر فيه خمسة أحاديث.

الحديث الأول: حديث أنس في الشفاعة أورده مختصراً جداً ثم مطولاً وقد مضى شرحه مستوفى في كتاب الرقاق[٢].

قوله (وهو جميع) أي مجتمع العقل وهو إشارة إلى أنه كان حينئذ لم يدخل في الكبر الذي هو مظنة تفرق الذهن وحدوث اختلاط الحفظ.

قوله (إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة) الحديث ذكره مختصراً جداً وقد مضى بتمامه مشروحاً في الرقاق[٣].

قوله (يدنو أحدكم من ربه) قال ابن التين يعني يقرب من رحمته [٤].

قوله (فيضع كنفه[٥]) المراد بالكنف الستر.

قال عبد الله بن المبارك: كنفه ستره أخرجه المصنف في كتاب خلق أفعال العباد، والمعنى أنه تحيط به عنايته التامة.

٣٧ ـ باب ما جاء في قوله عزَّ وَجلَّ:
{وكلمَ اللهُ موسى تكليماً} /النساء:١٦٤/

٧٥١٥ ـ عن أبي هريرةَ أن النبيَّ ﷺ قال: احتجَّ آدمُ وموسي، فقال موسى: أنت آدمُ

---

(١) في الباب واليونينية "باب كلام الرب عزّ وجل ....."
(٢) كتاب الرقاق باب / ٥١ ح ٦٥٦٥ - ٥ / ٧٦
(٣) كتاب الرقاق باب / ٥٢ ح ٦٥٧٣ - ٥ / ٨٧
(٤) الحديث صريح في أن العبد يدنو من ربه، وغير سائغ صرفه عن ظاهره، وابن التين في قوله المذكور قد جرى على مذهبه فيالتأويل الذي يقضي إلى التعطيل، والحق ما قال به السلف الصالح من اثبات الصفات التي وردت بها النصوص الصحيحة دون تأويل أو تشبيه
(٥) رواية الباب واليونينية "حتى يضع كنفه"

الذي أَخرَجتَ ذريتَك من الجنَّة، قال آدمُ: أنتَ موسى الذي اصطفاكَ اللهُ برسالاتِه وكلامه ثم تلومُني على أمرٍ قد قُدِّر عليَّ قبل أن أُخلَقَ، فحجَّ آدمُ موسى.

٧٥١٦ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ يُجمع المؤمنون يومَ القيامة فيقولون لو استَشْفَعْنا إلى ربنا فيريحَنا من مكاننا هذا فيأتُون آدمَ فيقولونَ له أنت آدمُ أبو البشر خلقكَ اللهُ بيده وأسجَد لكَ الملائكة، وعلَّمك أسماءَ كلِّ شيءٍ، فاشفع لنا إلى ربنا حتى يُريحَنا فيقول لهم لستُ هناكم، فيذكر لهم خطيئَته التي أصابَ».

٧٥١٧ ـ عن ابنِ مالكٍ قال ليلةَ أُسْرِيَ برسولِ الله ﷺ من مسجد الكعبةِ أنه جاءه ثلاثةُ نفرٍ قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم: أيُّهم هوَ؟ فقال أوسطُهم: هو خيرُهم، فقال أحدُهم خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يَرَهُم حتى أتوهُ ليلةً أخرَى فيما يرَى قلبُهُ وتَنام عينُهُ ولا ينام قلبُه، وكذلكَ الأنبياء تنامُ أعينُهم ولا تنام قلوبُهم، فلم يكلموهُ حتى احتَملوه فوضعوه عند بِئر زمزمَ فتولاه منهمُ جبريلُ فشَق جبريل ما بين نحرهِ إلى لَبَّتِه حتى فرغ من صدره وجوفِه، فغسلَه من ماء زمزمَ بيده حتى أَنقى جوفهُ ثم أُتي بطَستٍ من ذهب فيه تَوْرٌ من ذهب محشُواً إيمانا وحكمةً، فحشا به صدْرَه لغايده - يعني عُروق حلقهِ- ثم أطبقَهُ ثم عرجَ به إلى السماء الدُّنيا فضربَ باباً من أبوابها، فناداه أهلُ السماء، من هذا؟ فقال: جبريلُ، قالوا: ومن معكَ؟ قال: معي محمدٌ، قال: وقد بعث؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فَيَستبشرُ به أهل السماء لا يعلمُ أهلُ السماء بما يريدُ اللهُ به في الأرض حتى يُعْلِمهُم فوجد في السماء الدنيا آدمَ فقال له جبريلُ: هذا أبوكَ فسلِّمْ عليه فسلَّمَ عليه وردَّ عليه آدمُ وقال: مرحباً وأهلاً يا بني نِعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنَهرين يطَّردان، فقال: ما هذان النَهران يا جبريل؟ قال: هذان النِّيلُ والفراتُ عُنصرُهما ثم مضى به في السماء فإذا بنهرٍ آخرَ عليه قصرٌ من لؤلؤ وزبرجدٌ فضربَ يدَه فإذا هو مسك أذفر قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثرُ الذي خَبَأ لك ربُّك ثم عَرَج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثلَ ما قالت له الأولى، من هذا؟ قال: جبريلُ، قالوا: ومن مَعك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قالوا: وَقَد بُعثَ إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به وأهلاً. ثم عرج به إلى السماء الثالثة وقالوا: له مثلَ ما قالتِ الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعةِ فقالوا له مثلَ ذلك، ثم عرجَ به إلى السماءِ الخامسة فقالوا مثلَ ذلكَ، ثم عرجَ به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعةِ فقالوا له مثل ذلك كلُّ سماء فيها أنبياءُ قد سمَّاهم فَوَعيْتُ منهم إدريسَ في الثانيةِ وهارونَ في الرابعة وآخرَ في الخامسة لم أحفظ اسمَهُ، وإبراهيمَ في السادسة وموسى في السابعةِ بفضل كلامه لله، فقال موسى: رب لم أظنَّ أنْ تَرفَع عليَّ أحداً ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمهُ إلا اللهُ،

حتى جاء سِدْرةَ المنتهى ودنا الجبّارُ ربُّ العزّةِ فتدلىٌّ حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحَى الله فيما أوحَى خمسين صلاة على أمَّتكَ كلَّ يوم وليلة ثم هبَط حتى بلغ موسى فاحتبسَهُ موسى فقال يا مُحمد: ماذا عَهد إليكَ ربُّك قال: عَهِدَ إليَّ خمسين صلاةً كلَّ يوم وليلة، قال: إن أمتَكَ لا تستطيعُ ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهمْ فالتفت النبيُّ ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيرُه في ذلك فأشار إليه جبريلُ أن نعم، إن شئت فعلا به إلى الجبّار، فقال: وهو مكانهُ يا رب خَفِّف عنّا فإنَّ أمتي لا تستطيعُ هذا فوضع عنه عشر صلوات ثمَّ رجع إلى موسى فاحتبسَه فلم يَزَل يُردِدهُ موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صَلَواتٍ ثم احتبسهُ موسى عند الخمسِ فقال: يا محمد والله لقد راوَدْتُ بَني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعُفُوا فتركوه، فأمتُكَ أضعفُ أجساداً وقُلوباً وأبدانا وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فَلْيُخفِّف عنكَ ربُّكَ، كلَّ ذلك يَلْتَفِتُ النبيُّ ﷺ إلى جبريلَ لِيُشير عليه ولا يَكرَهُ ذلك جبريلُ، فرفَعهُ عن الخامسةِ فقال: يا رب إن أمَّتي ضُعفاءُ أجسادُهُم وقُلوبُهم وأسماعهم وأبدانهم فَخفِّف عنّا فقال الجبّار: يا مُحمد، قال: لبَّيكَ وسعدَيك، قال: إنه لا يُبَدَّلُ القولُ لدَيَّ كما فرضتُ عليكَ في أم الكتاب فكلُّ حسنةٍ بعشرِ أمثالِها فهي خمسونَ في أم الكتاب وهي خمسٌ عليكَ، فرَجع إلى موسى فقال: كيف فعَلْتَ؟ فقال: خفَّف عنا، أعطانا بكُل حسنةٍ عشرَ أمثالِها، قال موسى: قد والله راوَدْتُ بني إسرائيلَ على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فَلْيُخفِّف عنَك أيضاً، قال رسولُ اللهِ ﷺ: يا موسى قد واللهِ استَحْيَيْتُ من ربي مما اختلفْتُ إليه، قال: فاهبِط باسم اللهِ، قال: واستَيْقظ وهو في مسجد الحرام».

قوله (باب ما جاء في قوله عز وجل: وكلم اللهُ موسى تكليما) قال الأئمة: هذه الآية أقوى ما ورد في الرد على المعتزلة، قال النحاس: أجمع النحويون على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازاً فإذا قال: «تكليما» وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة التي تعقل.

وأورد البخاري في كتاب خلق أفعال العباد أن خالد بن عبد الله القسري قال: إني مضحى بالجعد بن درهم فإنه يزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما، وتقدم في أول التوحيد أن سلم بن أحوز قتل جهم بن صفوان لأنه أنكر أن الله كلم موسى، تكليمًا ثم ذكر فيه ثلاثة أحاديث، أحدها: حديث أبي هريرة: احتج آدم وموسى، وقد مضى شرحه في كتاب القدر[١]، والمراد منه قوله «أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه وللكُشميهني «وبكلامه».

(١) كتاب القدر باب / ١١ ح ٦٦١٤ - ٥ / ١٠٦

ثانيها: حديث أنس في الشفاعة. وقد مضى شرحه مستوفى في «كتاب الرقاق»[١].

قوله (فقال أولهم أيهم هو) فيه إشعار بأنه كان نائماً بين جماعة أقلهم اثنان وقد جاء أنه كان نائماً معه حينئذ حمزة بن عبد المطلب عمه وجعفر بن أبي طالب بن عمه.

قوله (فشق جبريل ما بين نحره إلى لبَّته) وهي موضع القلادة من الصدر، ومن هناك تنحر الإبل، وقد تقدم عند شرحه الرد على من أنكر شق الصدر عند الإسراء وزعم أن ذلك إنما وقع وهو صغير، وبينت أنه ثبت كذلك في غير رواية شريك في الصحيحين من حديث أبي ذر، وأن شق الصدر وقع أيضاً عند البعثة كما أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة.

قوله (ولغاديده) قال أهل اللغة هي اللحمات التي بين الحنك وصفحة العنق، واحدها لغدود ولغديد، ويقال له أيضاً لغد وجمعه ألغاد.

قوله (ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا) إن كانت القصة متعددة فلا إشكال وإن كانت متحدة ففي هذا السياق حذف تقديره ثم أركبه البراق إلى بيت المقدس، ثم أتى بالمعراج.

قوله (فاستبشر[٢] به أهل السماء) كأنهم كانوا أعلموا أنه سيعرج به فكانوا مترقبين لذلك.

قوله (فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان) أي يجريان، وظاهر هذا يخالف حديث مالك بن صعصعة، فإن فيه بعد ذكر سدرة المنتهى «فإذا في أصلها أربعة أنهار» ويجمع بأن أصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما في السماء الدنيا ومنها ينزلان إلى الأرض، ووقع هنا «النيل والفرات عنصرها» والعنصر هو الأصل.

٣٨ ـ باب كلامِ الرب مع أهلِ الجنَّة

٧٥١٨ ـ عن أبي سعيد الخُدرِي رضي الله عنه قال: قال «النبيُّ ﷺ إن اللهَ يقولُ لأهل الجنةِ: يا أهلَ الجنةِ، فيقولون: لبيْكَ ربنا وسعدَيك، والخير في يَدَيْك، فيقول: هل رضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نَرضَى يا رب وقد أعطيتَنا مالم تُعطِ أحداً من خلقِك فيقول: ألا أعطيكُم أفضَلَ من ذلك؟ فيقولون: يا ربِّ وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخَطُ عليكم بعدَهُ أبداً».

٧٥١٩ ـ عن أبي هريرة أن النبيَّ ﷺ كان يوماً يُحدثُ وعندَه رجلٌ من أهل الباديةِ أنَّ

---

(١) كتاب الرقاق باب / ٥١ ح ٦٥٦٥ – ٥ / ٧٦

(٢) رواية الباب واليونينية "فيستبشر به أهل السماء".

رجلاً من أهلِ الجنة استأذَن ربَّهُ في الزَّرعِ فقال: أولستَ فيما شئتَ؟ قال: بلى ولكني أحبُّ أن أزرعَ، فأسرعَ وبذر فتبادَرَ الطرفَ نباتهُ واستواؤهُ واستحصاده وتكويرهُ أمثالَ الجبال فيقول الله تعالى: دونَك يا ابن آدم فإنه لا يُشبعُك شيءٌ، فقال الأعرابيُّ: يارسولَ الله لا تَجِد هذا إلاَّ قُرشياً أو أنصارِيًا فإنَّهم أصحابُ زَرْعٍ فأما نحن فَلسنا بأصحابِ زَرْعٍ، فضحِك رسولُ اللهِ».

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: في هذا الحديث جواز إضافة المنزل لساكنه، وإن لم يكن في الأصل له فإن الجنة ملك الله عز وجل، وقد أضافها لساكنها بقوله يا أهل الجنة، قال: والحكمة في ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار أنه لو أخبر به قبل الاستقرار لكان خبراً من باب علم اليقين، فأخبر به بعد الاستقرار ليكون من باب عين اليقين، وإليه الإشارة بقوله تعالى {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} قال: ويستفاد من هذا أنه لا ينبغي أن يخاطب أحد بشيء حتى يكون عنده ما يستدل به عليه ولو على بعضه، وكذا ينبغي للمرء أن لا يأخذ من الأمور إلا قدر ما يحمله، وفيه الأدب في السؤال لقولهم: وأي شيء أفضل من ذلك، لأنهم لم يعلموا شيئاً أفضل مما هم فيه فاستفهموا عما لا علم لهم به، وفيه أن الخير كله والفضل والاغتباط إنما هو في رضا الله سبحانه وتعالي، وكل شيء ما عداه وإن اختلفت أنواعه فهو من أثره، وفيه دليل على رضا كل من أهل الجنة بحاله مع اختلاف منازلهم وتنويع درجاتهم لأن الكل أجابوا بلفظ واحد وهو «أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك» وبالله التوفيق.

قوله (فقال الأعرابي: يارسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع) تقدم شرح الحديث في أواخر «كتاب المزارعة»[١] بعون الله تعالى.

٣٩ - باب ذِكر اللهِ بالأمر وذِكرُ العبادِ بالدُّعاء والتَّضرُّع والرسالة والبلاغ

لقولهِ تعالى: {فاذكروني أذكُركُم} /البقرة:١٥٢/. {واتلُ عليهم نبأ نوحٍ إذ قال لقومهِ ياقوم إن كان كَبُر عليكم مقامي وتذكيري بآياتِ الله فعلى الله توكلتُ، فأجمعوا أمركم وشُركاءكم ثمَّ لايكُن أمركم عليكم غُمَّة ثم اقضوا إليَّ ولا تنظرون، فإن توليتُم فما سألتكمُ من أجرٍ إن أجري إلا على الله، وأمِرتُ أن أكونَ من المسلمين} /يونس:٧١،٧٢/. غُمةٌ: هَمٌّ وضيق.

قال مجاهدُ: اقضوا إليَّ ما في أنفُسكم، افرُق: اقض.

وقال مجاهد: {وإن أحدٌ منَ المشركين استجارك فأجره حتى يسمعَ كلامَ اللهِ / التوبة:٦/:

---

(١) كتاب المزارعة باب / ٢٠ ح ٢٣٤٨ - ٢ / ٣٤٦

إنسان يأتيه فيستَمِعُ ما يقول، وما أُنزلِ عليه فهو آمن حتى يأتِيَهُ فيسمعَ كلام اللهِ، وحتى يبلُغَ مأمَنَهُ حيث جاء، والنبأ العظيمُ: القرآنُ، صواباً: حقاً في الدنيا وعَملٌ به.

قال ابن عباس في قوله تعالى: {اذكروني أذكركم} إذا ذكر العبد ربه وهو على طاعته ذكره برحمته، وإذا ذكره وهو على معصيته ذكره بلعنته، قال: ومعنى قوله {اذكروني أذكركم} اذكروني بالطاعة أذكركم بالمعونة، وعن سعيد بن جبير «اذكروني بالطاعة أذكركم بالمغفرة».

قوله (واتل عليهم نبأ نوح الخ) قال ابن بطال: أشار إلى أن الله ذكر نوحاً بما بلغ به من أمره وذكر بآيات ربه، وكذلك فرض على كل نبي تبليغ كتابه وشريعته.

٤٠ ـ باب قولِ اللهِ تعالى: {فلا تجعلوا للهِ أنداداً} /البقرة:٢٢/.

وقوله جلَّ ذِكره: {وتجعلون له أنداداً ذلك ربُّ العالمين} /فصلت:٩/. {ولقد أُوحيَ إليك وإلى الذينَ من قبلك لئن أشركتَ ليَحبطنَّ عملُكَ ولتكوننَّ من الخاسرين، بل اللهَ فاعبدْ وكُن من الشاكِرين} /الزمر:٦٥،٦٦/ وقوله: {والذينَ لا يدعونَ مع اللهِ إلهاً آخر} /الفرقان:٦٨/.

وقال عِكرمةُ: {وما يؤمنُ أكثرهُمُ باللهِ إلا وهم مشركون} /يوسف:١٠٦/. {ولئن سَألتَهم من خلقَهُم} /الزخرف:٨٧/. {ومن خلق السماواتِ والأرضَ ليقولنَّ الله}الزخرف:٩/. فذلك إيمانهم وهم يَعبدون غيرَهُ، وما ذكر في خلق أفعالِ العبادِ وأكسابهم لقولهِ تعالى: {وخلقَ كلَّ شيءٍ فَقَدَّرهُ تقديرا} /الفرقان:٢/.

وقال مجاهد: {ما تنزَّلُ الملائكة إلا بالحق} /الحجر:٨/: يعني بالرسالة والعذاب، ليسأل الصادقين عن صِدقهم المبلِّغين المؤدين من الرسل، وإنا له حافظون عندنا، والذي جاء بالصدق القرآن، وصدَّق به المؤمنُ يقول يوم القيامة هذا الذي أعطيتني عملتُ بما فيه.

٧٥٢٠ ـ عن عبد اللهِ قال: سألتُ النبيَّ ﷺ أيُّ الذَّنبِ أعظمُ عند اللهِ؟ قال: أن تجعلَ لله نداً وهو خَلَقَك. قلت: إنَّ ذلك لعظيم، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: ثم أن تقتُل ولدك تخافُ أن يَطعم معك، قلت: ثمَّ أيٌّ؟ قال: ثم أن تُزاني بحليلةِ جارِك».

قوله (باب قول الله تعالى {فلا تجعلوا لله أندادا}، وقوله[1]: {وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين}) الندُّ يقال له النديد أيضاً وهو نظير الشيء الذي يعارضه في أموره.

قال ابن بطال: غرض البخاري في هذا الباب إثبات نسبة الأفعال كلها لله تعالى سواء كانت من المخلوقين خيراً أو شراً فهي لله تعالى خلق وللعباد كسب، ولا ينسب شيء من

(١) في الباب واليونينية "وقوله جلّ ذكره...."

الخلق لغير الله تعالى فيكون شريكاً ونداً ومساويا له في نسبة الفعل إليه، وقد نبه الله تعالى عباده على ذلك بالآيات المذكورة وغيرها المصرحة بنفي الأنداد والآلهة المدعوة معه، فتضمنت الرد على من يزعم أنه يخلق أفعاله، ومنها ما حذر به المؤمنين أو أثنى عليهم، ومنها ما ويخ به الكافرين، وحديث الباب ظاهر في ذلك، وقال الكرماني: الترجمة مشعرة بأن المقصود إثبات نفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى، فكان المناسب ذكره في أوائل «كتاب التوحيد» لكن ليس المقصود هنا ذلك بل المراد بيان كون أفعال العباد بخلق الله تعالى، إذ لو كانت أفعالهم بخلقهم لكانوا أنداداً لله وشركاء له في الخلق.

وقال البيهقي في كتاب الأسماء والصفات: مذهب السلف والخلف من أهل الحديث والسنة أن القرآن كلام الله وهو صفة من صفات ذاته.

قوله (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك -إلى قوله- بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) قال الطبري: هذا من الكلام الموجز الذي يراد به التقديم، والمعنى: ولقد أوحى إليك لئن أشركت -إلى قوله- من الخاسرين، وأوحى إلى الذين من قبلك مثل ما أوحي إليك من ذلك، ومعنى ليحبطن: ليبطلن ثواب عملك انتهى، والغرض هنا تشديد الوعيد على من أشرك بالله، وأن الشرك محذر منه في الشرائع كلها وأن للإنسان عملاً يثاب عليه إذا سلم من الشرك ويبطل ثوابه إذا أشرك.

قوله (وقال عكرمة الخ) وصله الطبري عن هناد بن السرى عن أبي الأحوص عن سماك بن حرب عن عكرمة في قوله تعالى {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} قال يسألهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره، ومن طريق يزيد بن الفضل الثماني عن عكرمة في هذه الآية {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} قال: هو قول الله {ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله} فإذا سئلوا عن الله وعن صفته وصفوه بغير صفته وجعلوا له ولداً وأشركوا به.

قوله (والذي جاء بالصدق: القرآن، وصدق به: المؤمن يقول يوم القيامة هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه) وصله الطبري من طريق منصور بن المعتمر عن مجاهد قال: الذي جاء بالصدق وصدق به هم أهل القرآن يجيئون به يوم القيامة، يقولون هذا الذي أعطيتمونا عملنا بما فيه، ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الذي جاء بالصدق وصدق به رسول الله ﷺ بلا إله إلا الله.

قال الطبري: الأولى أن المراد بالذي جاء بالصدق كل من دعا إلى توحيد والإيمان برسوله وما جاء به والمصدق به المؤمنون ويؤيده أن ذلك ورد عقب قوله {فمن أظلم ممن كذب على

(١) كتاب الحدود باب / ٢٠ ح ٦٨١١ - ٥ / ٢٠٢

الله وكذب بالصدق إذ جاءه} الآية، وأما حديث ابن مسعود فتقدم شرحه في باب إثم الزناة من :«كتاب الحدود»[١] والمراد هنا الإشارة إلى أن من زعم أنه يخلق فعل نفسه يكون كمن جعل لله نداً، وقد ورد فيه الوعيد الشديد فيكون اعتقاده حراماً.

٤١ ـ باب قولِ الله تعالى:
{وما كنتم تستَترون أن يشهدَ عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتُم أن اللهَ لا يعلم كثيراً مما تعملون} /فصلت:٢٢/

٧٥٢١ ـ عن عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت ثقَفيّان وقُرشي، أو قُرشيّان وثقفيٌ - كثيرةٌ شحْمُ بُطونهم، قليلةٌ فقْهُ قلوبهم، فقال أحدهم: أترَون أنّ اللهَ يسمعُ ما نقولُ؟ قال الآخر: يسمعُ إن جَهَرنا، ولا يسمعُ إن أخْفَيْنَا، وقال الآخرُ: إن كان يسمعُ إذا جَهرنا فإنه يسمعُ إذا أخفينا فأنزلَ الله تعالى: {وما كنتم تستَترون أن يشهدَ عليكم سمعُكم ولا أبصاركم ولا جلودكم} الآيةُ.

قوله (باب قوله[١] تعالى: وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم، الآية) فيه حديث «عبد الله» وهو ابن مسعود «اجتمع عند البيت». وقد تقدم شرحه في تفسير فصلت.

قال ابن بطال: غرض: البخاري في هذا الباب إثبات السمع لله وأطال في تقرير ذلك، وقد تقدم في أوائل التوحيد في قوله {وكان الله سميعاً بصيرا} والذي أقول إن غرضه في هذا الباب إثبات ما ذهب إليه أن الله يتكلم متى شاء.

قال ابن بطال: وفي هذا الحديث إثبات القياس الصحيح وإبطال القياس الفاسد لأن الذي قال: «يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا» قاس قياساً فاسداً لأنه شبه سمع الله تعالى بأسماع خلقه الذين يسمعون الجهر ولا يسمعون السر، والذي قال: إن كان يسمع إن جهرنا فإنه يسمع إن أخفينا» أصاب في قياسه حيث لم يشبه الله بخلقه، ونزهه عن مماثلتهم وإنما وصف الجميع بقلة الفقه لأن هذا الذي أصاب لم يعتقد حقيقة ما قال بل شك بقوله «إن كان».

٤٢ ـ باب قول الله تعالى: {كلّ يوم هو في شأن} /الرحمن:٢٩/

{وما يَأتيهم من ذِكر من ربهم مُحدَث} /الأنبياء:٢/. وقوله تعالي: {لعلّ الله يُحدثُ بعد ذلك أمراً} /الطلاق:١/. وأنّ حدثَه لا يُشبهُ حدثَ المخلوقين، لقوله تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} /الشورى:١١/. وقال ابن مسعود عن النبيّ ﷺ: إنّ اللهَ عزّ وجلّ يُحدث من أمرِه ما يشاء، وإنّ مما أحدثَ أن لا تكلموا في الصلاة.

(١) في الباب واليونينية "باب قول الله تعالى ...."

٧٥٢٢ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما قال: كيفَ تَسألونَ أهلَ الكتابِ عن كتبهم وَعندكم كتاب الله أقرَب الكتبِ عهداً بالله تَقرءونه مَحضاً لم يشَب».

٧٥٢٣ ـ عن عبدِ اللهِ بن عباسٍ قال: يا مَعشَرَ المسلمين كيفَ تَسألونَ أهلَ الكتابِ عن شيءٍ وكتابكم الذي أنزلَ اللهُ على نبيكم ﷺ أحدَث الأخبارِ بالله مَحضاً لم يشَب وقد حَدَّثكمُ الله أنَّ أهل الكتابِ قد بدَّلوا من كتب الله وغَيَّرُوا فكتبوا بأيديهم قالوا: هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً أو لايَنهاكم ماجاءكم منَ العلم عن مَسئلتِهم فَلاً والله ما رأينا رجلاً منهم يَسألكم عن الذي أنزلَ عليكم».

قوله (باب قول الله تعالى: كل يوم هو في شأن) تقدم ما جاء في تفسيرها في سورة الرحمن في التفسير.

قوله (وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث، وقوله: لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً وإن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وأخرج ابن أبي حاتم من طريق هشام بن عبيد الله الرازي أن رجلاً من الجهمية احتج لزعمه أن القرآن مخلوق بهذه الآية، فقال له هشام: محدث إلينا محدث إلى العباد، وعن أحمد بن إبراهيم الدورقي نحوه، ومن طريق نعيم بن حماد قال محدث عند الخلق لا عند الله، قال: وإنما المراد أنه محدث عند النبي ﷺ يعلمه بعد أن كان لا يعلمه، وأما الله سبحانه فلم يزل عالماً وقال في موضع آخر: كلام الله ليس بمحدث لأنه لم يزل متكلماً لا أنه كان لا يتكلم حتى أحدث كلاماً لنفسه فمن زعم ذلك فقد شبه الله بخلقه لأن الخلق كانوا لا يتكلمون حتى أحدث لهم كلاماً فتكلموا به.

وقد نقل الهروي في الفاروق بسنده إلى حرب الكرماني: سألت اسحق بن إبراهيم الحنظلي يعني ابن راهويه عن قوله تعالى {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث} قال: قديم من رب العزة محدث إلى الأرض فهذا هو سلف البخاري في ذلك.

٤٣ ـ باب قولِ اللهِ تعالى {لا تُحرك به لسَانكَ} /القيامة:١٦/ وفعلِ النبيِّ ﷺ حين ينزلُ عليه الوحي

وَقال أبو هريرةَ عن النَبيِّ ﷺ قال اللهُ تعالى {أنا معَ عَبدي إذا ذكَرَني وتَحركت بي شَفَتَاهُ}

٧٥٢٤ ـ عن ابن عباس في قوله تعالى {لا تُحرك به لسانكَ} قال: كان النبيُّ ﷺ يُعالجُ من التَنزيل شدَّةً وكان يُحرك شَفَتَيهِ فقال لي ابن عبَّاس أحركهما لكَ كما كان رسولُ الله ﷺ يُحركهما؟ فقال سعيد أنا أحركهما كما كان ابن عباس يُحركهما فحركَ شفتيهِ فأنزلَ

الله عزَّ وَجلَّ: {لا تحرك به لسانك لتعجلَ به إن عليناجمعه وقرآنهُ} قال: جمعه في صَدْرِكَ ثم تَقرؤهُ فإذا قَرأناهُ فاتبع قرآنهُ قال: فاستمع لهُ وَأنصت، ثم إن علينا أن تقرأهُ، قال: فكان رسولُ اللهِ ﷺ إذا أتَاهُ جبريلُ عليه السلامُ استَمعَ فإذا انطلَقَ جبريل قَرأه النبيُّ ﷺ كما أقرأه.

قال ابن بطال: معنى الحديث أنا مع عبدي زمان ذكره لي، أي أنامعه بالحفظ والكلاءة لا أنه معه بذاته حيث حل العبد، ومعنى قوله «تحركت بي شفتاه» أي تحركت باسمي لا أن شفتيه ولسانه تتحرك بذاته تعالى لا ستحالة ذلك، انتهى ملخصاً.

وقال الكرماني: المعية هنا معية الرحمة، وأما في قوله تعالى {وهو معكم أينما كنتم} فهي معية العلم يعني فهذه أخص من المعية التي في الآية، ثم ذكر حديث ابن عباس في قوله تعالى {لا تحرك به لسانك} قال كان النبيُّ ﷺ يعالج من التنزيل شدة، الحديث وهو من أوضح الأدلة على أن القرآن يطلق ويراد به القراءة، فإن المراد بقوله قرآناً في الآيتين القراءة لا نفس القرآن، وقد تقدم شرحه في بدء الوحي[1]، قال ابن بطال: غرضه في هذا الباب أن تحريك اللسان والشفتين بقراءة القرآن عمل له يؤجر عليه.

٤٤ ـ باب قول الله تعالى: {وأسروا قولكم أو اجهروا به، إنه عليم بذات الصُّدور، ألا يعلم من خلَقَ وهو اللطيف الخبير} /الملك:١٣،١٤/

يتخافتون: يتسارُّون.

٧٥٢٥ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ الله عنهما في قوله تعالى {ولا تجهَر بصلاتِك ولا تخافت بها} قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكةَ فكان إذا صلَّى بأصحابه رفعَ صوتَه بالقرآنِ فإذا سمعَه المشركونَ سبُّوا القرآنَ ومن أنزلَه ومن جاء به، فقال الله لنبيِّه ﷺ: ولا تجهر بصلاتك، أي بقراءتِك فيسمعَ المشركون فيسبُّوا القرآن، ولا تخافت بها عَن أصحابك فلا تُسمعهم، وابتغِ بين ذلك سبيلا».

٧٥٣٦ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها قالت: نزلت هذه الآيةُ: {ولا تجهر بصلاتِك ولا تخافت بها} في الدُّعاء».

٧٥٢٧ ـ عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ ليس مِنَّا مَن لم يَتَغنَّ بالقرآن وزاد غيره يجهر به».

قوله (باب قول الله تعالى: وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) أشار بهذه الآية إلى أن القول أعم من أن يكون بالقرآن أو

(١) كتاب بدء الوحي باب / ٥ ح ٥ - ١ / ٨

بغيره فإن كان بالقرآن فالقرآن كلام الله وهو من صفات ذاته فليس بمخلوق لقيام الدليل القاطع بذلك، وإن كان بغيره فهو مخلوق، بدليل قوله تعالى {ألا يعلم من خلق} بعد قوله {إنه عليم بذات الصدور}.

وقال ابن المنير: إنما قصد البخاري الإشارة إلى النكتة التي كانت سبب محنته بمسئلة اللفظ فأشار بالترجمة إلى أن تلاوة الخلق تتصف بالسر والجهر ويستلزم أن تكون مخلوقة، وساق الكلام على ذلك وقد قال البخاري في كتاب خلق أفعال العباد بعد أن ذكر عدة أحاديث دالة على ذلك فبين النبي ﷺ أن أصوات الخلق وقراءتهم ودراستهم وتعليمهم وألسنتهم مختلفة بعضها أحسن وأزين وأحلى وأصوت وأرتل وألحن وأعلى وأخفض وأغض وأخشع وأجهر وأخفى وأقصر وأمد وألين من بعض[١].

٤٥ ـ باب قولِ النبيِّ ﷺ «رجلٌ آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليلِ وآناء النهارِ، ورجل يقول لو أوتيت مثلَ ما أوتيَ هذا فعلتُ كما يفعل»

فبيَّنَ الله أنَّ قيامَه بالكتاب هو فعله، وقال: {وَمن آياته خلقُ السماواتِ والأرضِ واختلافُ ألسنتِكم وألوانِكم} /الروم:٢٢/ وقال جلَّ ذِكره:{وافعلوا الخيرَ لعلَّكم تُفلِحون} /الحج:٧٧/

٧٥٢٨ ـ عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لا تحاسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاهُ اللهُ القرآنَ فهو يتلُوه آناء الليل وآناء النهار فهو يقول: لو أوتيت مثلَ ما أوتيَ هذا لَفعلتُ كما يفعلُ، ورجل آتاه الله مالاً فهول يَنفِقُه في حقِّهِ فيقول لو أوتيتُ مثلَ ما أوتي، عملت فيهِ مثلَ ما يعملُ».

٧٥٢٩ ـ عن سالم عن أبيه «عن النبيِّ ﷺ قال: لا حَسدَ إلا في اثنتَين: رجلٌ آتاهُ الله القرآن فهو يتلُوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو يُنفِقُه آناءَ الليلِ وآناءَ النهار».

٤٦ ـ باب قولِ الله تعالى: {يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزِل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلَّغت رسالاته[٢]} /المائدة:٦٧/

وقال الزهريُّ: من اللهِ عز وجل الرسالة، وعلى رسول اللهِ ﷺ البلاغُ، وعلينا التسليم، وقال: {ليعلَم أن قد أبلغوا رسالاتِ ربِّهم} /الجن:٢٨/. وقال تعالى {أبلغُكم[٣] رسالات ربِّي} /الأعراف:٦٢،٦٨/. وقال كعبُ بن مالك حين تخلَّفَ عن النبيِّ ﷺ {وسيَرَى اللهُ عملكم

(١) وكلام ابن المنير هنا هو الصواب لا ما قاله الحافظ.
(٢) قراءة حفص عن عاصم "رسالتَه" والقراءتان متواترتان.
(٣) "أبلِغُكم" هي قراءة أبي عمرو، وفي قراءة حفص عن عاصم "أبَلِّغُكم"

ورسوله} /التوبة:٤٩/. وقالت عائشةُ إذا أعجبَك حُسن عَمل امرئ فقُلْ {اعملوا فَسيَرَى اللهُ عَملكم ورسولهُ والمؤمنونَ} /التوبة:١٠٥/: ولا يستَخفنَّك أحَدٌ، وقال معمرٌ، ذلك الكتابُ: هذا القرآن، {هدى للمتَّقين} /البقرة:٢/: بيانٌ ودِلالةٌ، كقوله تعالى {ذلكم حُكم الله} الممتحنة:١٠/: هذا حُكم الله، {لا ريب فيه} /البقرة:٢/: لا شَكَّ، {تلك آياتُ الله} لقمان:٢/: يعني هذه أعلامُ القرآن، ومثْلُهُ: {حتى إذا كنتم في الفُلْكِ وجَرَيْن بهم} /يونس:٢٢/ يعني بكم، وقال أنسٌ: بعثَ النبيُّ ﷺ خاله حَراماً إلى قوم، وقال أتُؤْمنوني أبلغْ رسالة رسولِ الله ﷺ فجعلَ يحدِّثُهم».

٧٥٣٠ ـ عن المغيرة قال: «أخبرَنا نبيُّنا ﷺ عن رسالةِ ربِّنا أنه من قُتِل مِنا صار إلى الجنَّةِ».

٧٥٣١ ـ عن عائشة رضي اللهُ عنها قالت: من حدَّثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا تُصدِّقه، إنَّ اللهَ تعالى يقول: {يا أيها الرسولُ بلغ ما أنزِلَ إليك من ربِّك وإن لم تفعل فما بلَّغتَ رِسالاته}[(١)]».

٧٥٣٢ ـ عن عَمرو بن شرحَبيل قال: قال عبدالله، قال رجلٌ يا رسولَ الله: أيُ الذَّنب أكبرُ عند اللهِ تعالى؟ قال: أن تدعُوَ للهِ نداً وهو خلقكَ، قال: ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدكَ أنَ يطعم معك، قال: ثم أيْ؟ قال: أن تُزانيَ حَليلة جارك، فأنزلَ اللهُ تصديقها {والذين لا يدعونَ مع اللهِ إلهاً آخر ولا يقتلون النفسَ التي حَرَّم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب} الآية.

قوله (باب قول الله عز وجل[(١)] يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) وقد احتج أحمد بن حنبل بهذه الآية على أن القرآن غير مخلوق لأنه لم يرد في شيء من القرآن ولا من الأحاديث أنه مخلوق ولا ما يدل على أنه مخلوق، ثم ذكر عن الحسن البصري أنه قال: لو كان ما يقول الجعد حقاً لبلَّغه النبي ﷺ.

قوله (وقال الزهري من الله[(٢)] الرسالة وعلى رسول الله ﷺ البلاغ وعلينا التسليم) هذا وقع في قصة أخرجها الحميدي في النوادر ومن طريقه الخطيب، قال الحميدي: حدثنا سفيان قال: قال رجلٌ للزهري يا أبا بكر قول النبي ﷺ ليس منا من شق الجيوب، ما معناه، فقال الزهري: من الله العلم وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم، وهذا الرجل هو الأوزاعي أخرجه ابن أبي عاصم في «كتاب الأدب».

قوله (وقال الله تعالى[(٣)] ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وقال[(٤)] أبلغكم رسالات

(١) في الباب واليونينية "باب قول الله تعالى...."
(٢) في الباب "من الله عز وجل ....." واليونينية توافق الشرح.
(٣) في الباب واليونينية "وقال ليعلم أن قد ...."
(٤) في الباب "وقال تعالى: أبلّغكم ...." واليونينية توافق الشرح.

ربي) قال البخاري في كتاب خلق أفعال العباد بعد أن ساق قوله تعالي {يا أيها الرسول بلغ} الآية، قال: فذكر تبليغ ما أنزل إليه ثم وصف فعل تبليغ الرسالة فقال: وإن لم تفعل فما بلغت، قال: فسمى تبليغه الرسالة وتركه فعلاً ولا يمكن أحداً أن يقول إن الرسول لم يفعل ما أمر به من تبليغ الرسالة، يعني: فإذا بلغ فقد فعل ما أمر به وتلاوته ما أنزل إليه هو التبليغ وهو فعله، وذكر حديث أبي الأحوص عوف بن مالك الجشمي عن أبيه قال أتيت النبيَّ ﷺ فذكر القصة وفيها قال: أتتني رسالة من ربي فضقت بها ذرعاً ورأيت أن الناس سيكذبونني فقيل لي: لتفعلن أو ليفعلن بك، وأصله في السنن وصححه ابن حبان والحاكم وحديث سمرة بن جندب في قصة الكسوف، وفيه «فقال النبيُّ ﷺ في خطبته إنما أنا بشر رسول فأذكركم بالله إن كنتم تعلمون أني قصرت عن تبليغ شيء من رسالات ربي» يعني فقولوا، فقالوا نشهد أنك بلغت رسالات ربك وقضيت الذي عليك، وأصله في السنن وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وقال في الكتاب المذكور أيضاً قوله تعالى {بلغ ما أنزل إليك من ربك} هو مما أمر به، وكذلك أقيموا الصلاة، والصلاة بجملتها طاعة الله وقراءة القرآن من جملة الصلاة، فالصلاة طاعة والأمر بها قرآن، وهو مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور مقروء على الألسنة فالقراءة والحفظ والكتاب مخلوقة والمقروء والمحفوظ والمكتوب ليس بمخلوق، ومن الدليل عليه أنك تكتب الله وتحفظه وتدعوه فدعاؤك وحفظك وكتابتك وفعلك مخلوق والله هو الخالق.

قوله (وقالت عائشة: إذا أعجبك حسن عمل امريء فقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون ولا يستخفنك أحد) المعنى لا يغرنك أحد بعمله فتظن به الخير إلا إن رأيته واقفاً عند حدود الشريعة.

قوله (أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة) هذا القدر هو المرفوع من الحديث، وقد مضى بطوله وشواهده في «كتاب الجزية».

٤٧ ـ باب قولِ الله تعالى {قُل فأتوا بالتوراةِ فاتلوها} آل عمران:٩٣/

وقولِ النبيِّ ﷺ (أعطيَ أهلُ التوراة التَّوراةَ فعملوا بها، وأُعطيَ أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ فعملوا به، وأُعطيتم القرآنَ فعملتم به)

وقال أبو رَزِين يتلُونَه حق تلاوته: يعملون به حقَّ عمله يقال يُتلى: يُقرأ، حَسنُ التِّلاوَة: حَسَنُ القراءة للقرآن، لا يَمسه: لا يجد طعمَهُ ونفعَهُ إلا من آمن بالقرآنِ، ولا يحملُه بحقِّه إلا الموقنُ لقوله تعالي: {مثل الذين حُمِّلوا التوراةَ ثم لم يحملوها كمَثَلِ الحمار يحملُ أسفاراً بِئسَ مثَلُ القوم الذين كذبوا بآياتِ الله، والله لا يهدِي القومَ الظالمين} /الجمعة:٥/.

وسمَّى النبيُّ ﷺ الإسلامَ والإيمانَ والصلاةَ عملاً، وقال أبو هريرة قال النبيُّ ﷺ لِبلال: أخبرني بأرجى عمل عملتَهُ في الإسلام قال: ما عَمِلتُ عملاً أرجى عندي أنّي لم أتطهر إلا صلّيت،وسُئل: أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: إيمانٌ بالله ورسولهِ ثم الجهادُ ثم حجٌّ مبرورٌ.

٧٥٣٣ ـ عن ابن عُمر رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: إنما بَقاؤكم فيمن سلَف من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروبِ الشمس أوتيَ أهل التوراةِ التوراةَ فعملوا بها حتى انتصف النهارُ ثم عَجَزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتيَ أهلُ الإنجيل الإنجيلَ فعملوا به حتى صُلّيت العصرُ ثم عَجزو فأعطُوا قيراطاً قيراطا، ثم أوتيتم القرآن فعملتم به حتى غَرَبتِ الشمسُ فأعطيتم قيراطين قيراطين، فقال أهلُ الكتابِ هؤلاء أقلُّ منّا عملاً وأكثر أجراً، قال الله: هل ظلمتكم من حَقِّكم شيئاً؟ قالوا: لا، فقال: فهو فضلي أوتيه من أشاء».

قوله (باب قول الله تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها) مراده بهذه الترجمة أن يبين أن المراد بالتلاوة القراءة وقد فسرت التلاوة بالعمل والعمل من فعل العامل وقال في كتاب خلق أفعال العباد ذكر ﷺ أن بعضهم يزيد على بعض في القراءة وبعضهم ينقص فهم يتفاضلون في التلاوة بالكثرة والقلة وأما المتلو وهو القرآن فإنه ليس فيه زيادة ولا نقصان، ويقال فلان حسن القراءة ورديء القراءة ولا يقال حسن القرآن ولا رديء القرآن، وإنما يسند إلي العباد القراءة لا القرآن لأن القرآن كلام الرب سبحانه وتعالى والقراءة فعل العبد، ولا يخفى هذا إلا على من لم يوفق ثم قال تقول قرأت بقراءة عاصم وقراءتك على قراءة عاصم، ولو أن عاصماً حلف أن لا يقرأ اليوم ثم قرأت أنت على قراءته لم يحنث هو. قال: وقال أحمد: لا تعجبني قراءة حمزة، قال البخاري ولا يقال لا يعجبني القرآن فظهر افتراقهما.

٤٨ ـ بابٌ وسمَّى النبيُّ ﷺ الصلاة عملاً، وقال: (لا صلاةَ لِمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)

٧٥٣٤ ـ عن ابن مسعودٍ رضيَ الله عنه أنَّ رجلاً سَألَ النبيَّ ﷺ أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: الصلاةُ لوقتها، وبرُّ الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله».

٤٩ ـ باب قول الله تعالى: {إنَّ الإنسان خُلِقَ هَلوعاً إذا مسَّهُ الشرُّ جَزوعا، وإذا مَسَّهُ الخيرُ مَنُوعا} /المعارج:١٨ - ٢٠/ هلوعاً ضَجورا.

٧٥٣٥ ـ عن عَمرو بن تَغلب قال: «أتى النبيَّ ﷺ مالٌ فأعطى قوماً ومنع آخرين فبلغه أنهم عتبوا، فقال: إني أعطي الرجلَ وأدَع الرجلَ، والذي أدع أحبُّ إليَّ من الذي أعطي، أعطِي أقو ماً لما في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكِلُ أقو ماً إلى ما جعل الله في قلوبهم

منَ الغنى والخير، منهم عَمرو بن تَغلب، فقال عَمرو: ما أحبُّ أنَّ لي بكلمةِ رسولِ الله ﷺ حُمْرَ النَّعم».

قال ابن بطال: مراده في هذا الباب إثبات خلق الله تعالى للإنسان بأخلاقه من الهلع والصبر والمنع والإعطاء، وقد استثنى الله المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون لا يضجرون بتكررها عليهم ولا يمنعون حق الله في أموالهم لأنهم يحتسبون بها الثواب ويكسبون بها التجارة الرابحة في الآخرة، وهذا يفهم منه أن من ادعى لنفسه قدرة وحولاً بالإمساك والشح والضجر والفقر وقلة الصبر لقدر الله تعالى ليس بعالم ولا عابد، لأن من ادعى أن له قدرة على نفع نفسه أو دفع الضر عنها فقد افترى انتهى، ملخصاً.

٥٠ ـ باب ذِكر النبيِّ ﷺ ، وروايتهِ عن ربه

٧٥٣٦ ـ عن أنس رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ يرويه عن ربه عز وجل قال: «إذا تقرَّب العبدُ إليَّ شبراً تقرَّبتُ إليه ذِراعاً، وإذا تقرب إليَّ ذراعاً تقرَّبتُ منه باعاً، وإذا أتاني مشياً أتيتهُ هَرْوَلَةً».

٧٥٣٧ ـ عن أبي هريرةَ قال: رُبَّما ذكر النبيُّ ﷺ قال: «إذا تقرَّب العبد منِّي شبراً تقرَّبت منه ذراعاً، وإذا تقرَّب مني ذراعاً تقربت منه باعاً أو بُوعاً».

٧٥٣٨ ـ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ يرويه عن ربِّكم قال: لكلِّ عملٍ كفَّارةٌ، والصومُ لي وأنا أجزي به، ولخُلوف فم الصائم أطيبُ عند اللهِ من ريح المِسك».

٧٥٣٩ ـ عن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنهما عن النبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه قال: لا ينبغي لعبدٍ أن يقول أنه خيرٌ من يونسَ بن متَّى» ونسبَهُ إلى أبيه.

٧٥٤٠ ـ عن عبد الله بن المُغَفَّل المزَني قال: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ يوم الفتحِ على ناقةٍ له يقرأ سُورةَ الفتح -أو من سورة الفتح- قال فرجعَ فيها قال: ثم قرأ معاويةُ يحكى قراءة ابن مُغفَّل وقال: لولا أن يجتمعَ الناس عليكم لرجعتُ كما رجع ابن مُغفل يحكي النبيَّ ﷺ فقلت لمعاوية: كيف كان ترجيعهُ قال: آ آ آ ثلاث مراتٍ».

قوله (كيف كان ترجيعه قال آ آ آ ثلاث مرات) قال ابن بطال: في هذا الحديث إجازة القراءة بالترجيع والألحان الملذذة للقلوب بحسن الصوت، وقول معاوية « لولا أن يجتمع الناس» يشير إلى أن القراءة بالترجيع تجمع نفوس الناس إلى الإصغاء وتستميلها بذلك حتى لا تكاد تصبر عن استماع الترجيع المشوب بلذة الحكمة المهيمة، وفي قوله آ بمد الهمزة والسكوت دلالة على أنه ﷺ كان يراعي في قراءته المد والوقف انتهى.

٥١ ـ باب ما يجوز من تفسير التوراةِ وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها

لقول الله تعالى: {قل فأتوا بالتوراةِ فاتلوها إن كنتم صادقين} /آل عمران:٩٣/

٧٥٤١ ـ عن أبي سفيان بن حربٍ أنَّ هِرقل دعاَ تَرجُمانه ثم دعا بكِتاب النبيِّ ﷺ فقرأه: باسم اللهِ الرحمن الرحيم من محمَّد عبد اللهِ ورسولهِ إلى هِرقْلَ، ويا أهل الكتابِ تعالَوْا إلي كلمةٍ سواء بَيْنَنا وبينكم، الآية.

٧٥٤٢ ـ عن أبي هريرةَ قال: كان أهلُ الكتاب يقرءُونَ التوْراة بالعِبرانيَّة ويفسِّرُونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسولُ الله ﷺ: لا تصدِّقوا أهلَ الكتابِ ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا آمنَّا بالله وما أنزِلَ، الآية».

٧٥٤٣ ـ عن ابن عُمر رضيَ الله عنهما قال: أُتيَ النبيُّ ﷺ برجلٍ وامرأةٍ من اليهودِ قد زَنَيا فقال لليهودِ ما تصنعون بهما؟ قالوا: نُسخِّمُ وُجُوهَهما ونُخزِيهِما، قال: فأتوا بالتوراةِ فاتلوها إن كنتم صادقين، فجاءُوا فقالوا لرجلٍ مِمن يَرضَوْن يا أعورُ: اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يدَهُ عليه قال: ارفع يدك فرفع يدَه فإذا فيه آيةُ الرَّجم تَلُوح، فقال: يا محمدُ إنَّ عليهما الرَّجمَ ولكنَّا نتكاتَمهُ بيننا فأمرَ بهما فَرُجِما، فرأيته يجانيءُ عليها الحجارةَ».

قوله (بالعربية وغيرها) أي من اللغات، والحاصل أن الذي بالعربية مثلا يجوز التعبير عنه بالعبرانية وبالعكس، وهل يتقيد الجواز بمن لا يفقه ذلك اللسان أو لا الأول قول الأكثر.

قوله (لقول الله تعالى قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) وجه الدلالة أن التوراة بالعبرانية، وقد أمر الله تعالى أن تتلى على العرب وهم لا يعرفون العبرانية فقضية ذلك الإذن في التعبير عنها بالعربية ثم ذكر فيه ثلاثة أحاديث.

الحديث الأول: قوله (وقال ابن عباس أخبرني أبو سفيان بن حرب أن هرقل دعا ترجمانه) في رواية الكشميهني «بترجمانه» هذا طرف من الحديث الطويل الذي تقدم موصولاً في بدء الوحي وفي عدة مواضع، وتقدم شرحه في أول الكتاب وفي تفسير سورة آل عمران ووجه الدلالة منه أن النبيَّ ﷺ كتب إلى هرقل باللسان العربي، ولسان هرقل رومي، ففيه إشعار بأنه اعتمد في إبلاغه ما في الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث إليه ليفهمه، واستدل البخاري في كتاب خلق أفعال العباد بقصة هرقل لمطلوبه أن القراءة فعل القاريء فقال قد كتب النبيُّ ﷺ في كتابه إلى قيصر: بسم الله الرحمن الرحيم وقرأه ترجمان قيصر على قيصر وأصحابه، ولا يشك في قراءة الكفار أنها أعمالهم، وأما المقروء فهو كلام الله

تعالى ليس بمخلوق.

قال ابن بطال: استدل بهذا الحديث من قال تجوز قراءة القرآن بالفارسية، وأيد ذلك بأن الله تعالى حكى قول الأنبياء عليهم السلام كنوح عليه السلام وغيره ممن ليس عربياً بلسان القرآن وهو عربي مبين وبقوله تعالى {لأنذركم به ومن بلغ} والإنذار إنما يكون بما يفهمونه من لسانهم، فقراءة أهل كل لغة بلسانهم حتى يقع لهم الإنذار به، قال: وأجاب من منع بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما نطقوا إلا بما حكى الله عنهم في القرآن سلمنا، ولكن يجوز أن يحكي الله قولهم بلسان العرب ثم يتعبدنا بتلاوته على ما أنزله، ثم نقل الاختلاف في إجزاء صلاة من قرأ فيها بالفارسي ومن أجاز ذلك عند العجز دون الإمكان وعمم وأطال في ذلك، والذي يظهر التفضيل فإن كان القاريء قادراً على التلاوة باللسان العربي فلا يجوز له العدول عنه ولا تجزيء صلاته وإن كان عاجزاً وإن كان خارج الصلاة فلا يمتنع عليه القراءة بلسانه لأنه معذور وبه حاجة إلي حفظ ما يجب عليه فعلاً وتركا وإن كان داخل الصلاة فقد جعل الشارع له بدلاً وهو الذكر وكل كلمة من الذكر لا يعجز عن النطق بها من ليس بعربي فيقولها ويكررها فتجزيء عن الذي يجب عليه قراءته في الصلاة حتى يتعلم، وعلى هذا فمن دخل في الإسلام أو أراد الدخول فيه فقريء عليه القرآن فلم يفهمه فلا بأس أن يعرب له لتعريف أحكامه أو لتقوم عليه الحجة فيدخل فيه.

٥٢ ـ بابُ قول النبيِّ ﷺ: «الماهرُ بالقرآنِ مع سَفَرة الكرامِ البرَرَةِ» وَ(زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتكم)

٧٥٤٤ ـ عن أبي هريرة أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقولُ: ما أذِنَ اللهُ لشيء ما أذِن لنبيٍّ حَسنِ الصوتِ بالقرآن يجهرُ به».

٧٥٤٥ ـ عن يونس عن ابن شهابٍ قال أخبرني عُروةُ بن الزُّبير وسعيدُ بن المسيَّب وعلقمةُ بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله عن حديث عائشة حين قال لها أهلُ الإفك ما قالوا وكلٌّ حدثني طائفةً من الحديث قالت: فاضطَجعتُ على فراشي وأنا حينئذ أعلم أني بريئةٌ وأن الله يُبرِّئني ولكن والله ما كنت أظن أنَّ الله يُنزِل في شأني وحياً يُتلى، ولَشأني في نفسي كان أحقَرَ من أن يتكلم اللهُ فيَّ بأمْرٍ يُتلى، وأنزلَ اللهُ عز وجلّ: {إنَّ الذين جاءوا بالإفكِ عُصبةٌ منكم} العشر الآيات كلها.

٧٥٤٦ ـ عن البراء قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقرأ في العشاء: والتّين والزيتون، فما سمعتُ أحداً أحسنَ صوتاً أو قراءةً منه».

٧٥٤٧ ـ عن ابن عباس رضيَ الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ متوارياً بمكةَ وكان يرفعُ

صوتَه، فإذا سمعَ المشركون سبُّوا القرآن ومن جاء به، فقال اللهُ عز وجلَّ لنبيِّه ﷺ {ولا تجهَر بصلاتِك ولا تُخَافِتْ بها}».

٧٥٤٨ ـ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ الله عنه قال له: إنِّي أراكَ تُحبُّ الغنَمَ والباديةَ فإذا كنتَ في غنَمك أو باديتك فأذَّنتَ للصلاةِ فارفَعْ صَوتَك بالنداء فإنه لا يَسمعُ مدَى صوتِ المؤذِّنِ جنٌّ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شهدَ له يوم القيامةِ، قال أبو سعيدٍ: سمعتُه من رسولِ الله ﷺ».

٧٥٤٩ ـ عن عائشة قالت كان النبيُّ ﷺ يقرأُ القرآنَ ورأسُه في حجْري وأنا حائضٌ».

قوله (باب قول النبيِّ ﷺ الماهر) أي الحاذق والمراد به هنا جودة التلاوة مع حسن الحفظ.

قوله (مع سفرة الكرام البررة) كذا لأبي ذر إلا عن الكُشميهني فقال: «مع السفرة» وهو كذلك للأكثر، والأول من إضافة الموصوف إلى صفته والمراد بالسفرة الكتبة جمع سافر مثل كاتب وزنه ومعناه، وهم هنا الذين ينقلون من اللوح المحفوظ فوصفوا بالكرام أي المكرمين عند الله تعالى، والبررة أي المطيعين المطهرين من الذنوب.

قوله (وزينوا القرآن بأصواتكم) والذي قصده البخاري إثبات كون التلاوة فعل العبد فإنها يدخلها التزيين والتحسين والتطريب، وقد يقع بأضداد ذلك وكل ذلك دال على المراد، وقد أشار إلى ذلك ابن المنير فقال: ظن الشارح أن غرض البخاري جواز قراءة القرآن بتحسين الصوت وليس كذلك، وإنما غرضه الإشارة إلى ما تقدم من وصف التلاوة بالتحسين والترجيع والخفض والرفع ومقارنة الأحوال البشرية كقول عائشة «يقرأ القرآن في حجري وأنا حائض» فكل ذلك يحقق أن التلاوة فعل القاريء وتتصف بما تتصف به الأفعال ويتعلق بالظروف الزمانية والمكانية انتهى.

٥٣ ـ باب قول الله تعالى: {فاقرأوا ما تَيسَّر منه} /المزمل:٢٠/

٧٥٥٠ ـ عن عُمر بن الخطاب قال: سمعتُ هشامَ بن حَكيم يقرأ سورةَ الفرقان في حياة رسولِ الله ﷺ فاستَمَعتُ لقراءتِه فإذا هو يقرأ على حُروفٍ كثيرةٍ لم يُقرئْنيها رسولُ اللهِ ﷺ فكِدْتُ أساورُهُ في الصلاة فتَصبَّرْتُ حتى سلَّم فلبَّبْتُه بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورةَ التي سمعتُكَ تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، فقلتُ: كذَبْتَ أقرأنيها على غير ما قرأتَ، فانطلقتُ به أقودُه إلى رسولِ الله ﷺ فقلت: إنِّي سمعتُ هذا يقرأ سورةَ الفرقانِ على حروفٍ لم تُقرِئْنيها فقال: أرسِلْه، اقرأ يا هشامُ؟ فقرأَ القراءةَ التي سمعتُه، فقال: رسولُ اللهِ ﷺ كذلكَ أنزِلَتْ، ثم قال: رسولُ اللهِ ﷺ: اقرأ يا عُمرُ؟ فقرأتُ فقال: كذلك

أنزلَتْ، إنَّ هذا القرآنَ أُنزِلَ على سَبْعَةِ أحْرفٍ فاقرأوا ما تيسَّر منه.

قوله (باب قول الله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه) والمراد بالقراءة الصلاة لأن القراءة بعض أركانها ذكر فيه حديث عمر في قصته مع هشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان، وقد تقدم شرحه مستوفى في فضائل القرآن[١].

ومناسبة هذه الترجمة وحديثها للأبواب التي قبلها من جهة التفاوت في الكيفية ومن جهة جواز نسبة القراءة للقارىء.

٥٤ ـ باب قولِ الله تعالى:

{ولقد يَسَّرْنا القرآنَ للذكر فهلْ مِن مدكِر} /القمر:١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠/.

وقال النبيُّ ﷺ: «كلٌّ مُيَسرٌ لما خُلقَ له»، ويُقال: مُيَسَّرٌ: مُهيّأً.

وقال مُجاهد: يَسرْنا القرآن بلسانكَ: هوَّنّا قِراءَتَه عليكَ

وقال مَطَرٌ الورّاقُ {ولقد يَسَّرنا القرآن للذكر فهل من مدكِر} قال: هل من طالب علم فيُعانَ عليه

٧٥٥١ ـ عن عمران قال: «قُلت يا رسولَ الله فيما يعملُ العامِلونَ؟ قال: كلٌّ ميسرٌ لما خُلق له».

٧٥٥٢ ـ عن عليٍّ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه كان في جنازَةٍ فأخذَ عُوداً فجعل يَنْكُتُ في الأرضِ فقال: ما منكم من أحدٍ إلا كُتِبَ مَقْعَدُه من الجنّة أو من النار، قالوا: ألا نتّكِلُ؟ قال: اعملوا فكلٌّ مُيسرٌ {فأمّا من أعطى واتقى} الآية.

قوله (باب قول الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قيل المراد بالذكر الأذكار والاتعاظ وقيل الحفظ وهو مقتضى قول مجاهد.

٥٥ ـ باب قولِ الله تعالى:

{بل هو قرآنٌ مَجيدٌ في لَوْحٍ مَحفوظ} /البروج:٢١، ٢٢/.

{والطُّورِ وكتاب مَسطور} /الطور:١، ٢/: قال قتادةُ: مكتوبٌ، يَسطرون: يَخُطُّون في أمّ الكتابِ، جُملةِ الكتاب وأصلِه. "ما يَلفظ من قول": ما يتكلمُ من شيء إلا كُتبَ عليه، وقال ابن عباس: يُكتَبُ الخيرُ والشرُّ، يحرِّفُون: يُزيلون، وليس أحدٌ يُزيلُ لفظَ كتابٍ من كُتُبِ اللهِ عزَّ وجلَّ ولكنَّهم يُحرِّفونه: يتأولونه عن غير تأويله، دِراستِهِم: تِلاوتِهِم، واعيةٌ:

(١) كتاب فضائل القرآن باب / ٥ ح ٤٩٩٢ - ٤ / ٨

حافِظَةٌ، وتعيها: تحفَظها، وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآنُ لأنذِرَكم به: يعني أهلَ مكَّةَ، ومن بلغَ هذا القرآنُ فهو له نَذيرٌ.

٧٥٥٣ ـ عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: لما قَضى اللهُ الخلقَ كتبَ كِتاباً عِندَه، غلَبَتْ -أو قال: سبَقت- رحمتي غضبي فهو عندهُ فوقَ العرشِ».

٧٥٥٤ ـ عن أبي هُريرةَ رضيَ الله عنه يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: إنَّ اللهَ كتب كِتاباً قبل أن يَخلقَ الخلقَ: إنَّ رحمتي سَبَقتْ غضبي فهو مكتوبٌ عندَه فوقَ العرْشِ».

قوله (باب قول الله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوحٍ محفوظ) قال البخاري في خلق أفعال العباد بعد أن ذكر هذه الآية والذي بعدها: قد ذكر الله أن القرآن يحفظ ويسطر، والقرآن الموعى في القلوب المسطور في المصاحف المتلو بالألسنة كلام الله ليس بمخلوق، وأما المداد والورق والجلد فإنه مخلوق.

قوله (وليس أحد يزيل لفظ كتاب[1] الله من كتب الله عز وجل ولكنهم يحرفونه: يتأولونه عن غير تأويله) قال بعض الشراح المتأخرين اختلف في هذه المسئلة على أقوال، أحدها: أنها بدلت كلها وهو مقتضى القول المحكي بجواز الامتهان وهو إفراط، وينبغي حمل إطلاق من أطلقه على الأكثر وإلا فهي مكابرة والآيات والأخبار كثيرة في أنه بقي منها أشياء كثيرة لم تبدل، من ذلك قوله تعالى {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل} الآية، ومن ذلك قصة رجم اليهوديين وفيه وجود آية الرجم، ويؤيده قوله تعالى {قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين} ثانيها: أن التبديل وقع ولكن في معظمها وأدلته كثيرة وينبغي حمل الأول عليه، ثالثها: وقع في اليسير منها ومعظمها باق على حاله، ونصره الشيخ تقي الدين بن تيمية في كتابه الرد الصحيح على من بدل دين المسيح.

قوله (وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به) يعني أهل مكة «ومن بلغ هذا القرآن فهو له نذير» وصله ابن أبي حاتم بالسند المذكور إلى ابن عباس، وقال ابن التين قوله «ومن بلغ» أي بلغه فحذف الهاء، وقيل المعنى: ومن بلغ الحلم، والأول هو المشهور، وأخرج ابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الله بن داود الخريبي قال مافي القرآن آية أشد على أصحاب جهم من هذه الآية {لأنذركم به ومن بلغ} فمن بلغه القرآن فكأنما سمعه من الله تعالى.

---

(١) رواية الباب واليونينية "..... كتاب من كتب الله ... "

٥٦ ـ باب قول الله تعالى: {والله خلقكم وما تعملون} /الصافات:٩٦/

{إنا كلَّ شيء خلقناه بقَدَر} /القمر:٤٩/. ويقال للمصوِّرين: {أحيُو ماخلقتم، إن ربكمُ الله الذي خلق السماوات والأرضَ في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغشى الليلَ النهارَ يَطلبه حَثيثا، والشمسَ والقمرَ والنُّجومَ مسخَّراتٍ بأمره، ألاَ له الخلقُ والأمرُ، وتباركَ اللهُ ربُّ العالَمين} /الأعراف:٥٤/.

قال ابن عُيينةَ: بيَّن اللهُ الخلقَ من الأمرِ بقوله تعالى: {ألا له الخلقُ والأمرُ}، وسمَّي النبيُّ ﷺ الإيمانَ عملاً، قال أبو ذر وأبو هريرةَ: «سُئلَ النبيُّ ﷺ أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: إيمانٌ باللهِ وجهادٌ في سبيله، وقال: {جزاءً بماكانوا يعملُون} /السجدة:١٧/. وقال وفدُ عبدِ القيسِ للنبيِّ ﷺ: مُرنا بُجمَلٍ من الأمرِ إن عَمِلنا بها دَخلْنا الجنَّةَ فأمرهم بالإيمانِ والشهادةِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ، فجعلَ ذلك كلَّه عَملاً».

٧٥٥٥ ـ «عن زَهدَم قال: كان بين هذا الحيِّ من جُرم وبين الأشعريِّين وُدٌّ وإخاء، فكنَّا عند أبي موسى الأشعريِّ فَقُرِّبُ إليه الطعامُ فيه لحمُ دَجاج وعندَهُ رجلٌ من بني تَيم الله كأنه من الموالي فدعاه إليه فقال الرجل: إنيِّ رأيته يأكل شيئاً فقَذِرتُه فحلفْتُ لا آكله فقال: هَلُمَّ فلأحدِّثكَ عن ذاكَ، إنيِّ أتيتُ النبيَّ ﷺ في نفَرٍ من الأشعريِّين نستَحمِلُه، قال: واللهِ لا أحمِلُكُم وما عندي ما أحمِلُكُم، فأُتِيَ النبيُّ ﷺ بنَهْبِ إبلٍ فسألَ عنا فقال: أينَ النَّفرُ الأشعريون؟ فأمرَ لنا بخَمْس ذَودٍ غُرِّ الذُّرَى ثم انطلقنا، قُلنا ما صنَعنا؟ حَلَفَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يحملُنا وما عندَه ما يحملُنا ثم حملَنا، تغفَّلْنا رسولَ الله ﷺ يَمينَه، واللهِ لا نُفلحُ أبداً فرجَعْنا إليه فقلْنا له، فقال لستُ أنا أحملُكم ولكنَّ الله حملَكم، إنيِّ واللهِ لا أحلفُ على يمينٍ فأرَي غيرَها خيراً منها إلا أتيتُ الذي هو خيرٌ منه وتحللتُها».

٧٥٥٦ ـ عن أبي جمرةَ الضَبعيِّ قلتُ لابن عباسٍ فقال: قدمَ وفدُ عبدِ القيس على رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا: إن بيننا وبينك المشركين من مُضرَ، وإنا لا نصلُ إليكَ إلا في أشهر حُرُم، فمرنا بجُمَل منَ الأمر إن عملنا به دَخلنا الجنَّة وندعوا إليها مَن وراءنا، قال: آمركم بأربعٍ، وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان باللهِ وهل تدرونَ ما الإيمانُ بالله، شهادة ألا إله إلا الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتعطوا منَ المغنم الخمس، وأنهاكُم عن أربع: لا تَشرَبوا في الدُّباء والنَّقير والظروف المزَفتة والحنتَمة».

٧٥٥٧ ـ عن عائشة رضيَ الله عنها أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: إنَّ أصحابَ هذه الصُّوَر

يُعذَّبونَ يومَ القيامةِ ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم؟».

٧٥٥٨ ـ عن ابن عمرَ رضيَ الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ إن أصحابَ هذه الصُّوَر يُعَذَّبونَ يومَ القيامة ويُقال لهم: أحيوا ما خَلَقتُم؟».

٧٥٥٩ ـ عن أبي هُريرةَ رضيَ الله عنه قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: قال الله عزَّ وجلَّ: ومن أظلمُ ممنْ ذهَبَ يخلُقُ كَخَلقي فليَخلُقُوا ذرَّةً أو لِيخلقُوا حبَّةً أو شعِيرةً».

قوله (باب قول الله تعالى والله خلقكم وما تعملون)(١) ذكر ابن بطال عن المهلب أن غرض البخاري بهذه الترجمة إثبات أن أفعال العباد وأقوالهم مخلوقة لله تعالى، وفرق بين الأمر بقوله {كن} وبين الخلق بقوله {والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره} فجعل الأمر غير الخلق وتسخيرها الذي يدل على خلقها إنما هو عن أمره، ثم بين أن نطق الإنسان بالإيمان عمل من أعماله كما ذكر في قصة عبد القيس حيث سألوا عن عمل يدخلهم الجنة فأمرهم بالإيمان وفسره بالشهادة وما ذكر معها، وفي حديث أبي موسى المذكور «وإنما الله الذي حملكم» الرد على القدرية الذين يزعمون أنهم يخلقون أعمالهم.

{خلقكم وما تعملون} فهو ظاهر في إثبات نسبة العمل إلي العباد فقد يشكل على الأول والجواب أن العمل هنا غير الخلق وهو الكسب الذي يكون مسنداً إلى العبد حيث أثبت له فيه صنعا، ويسند إلى الله تعالى من حيث أن وجوده إنما هو بتأثير قدرته وله جهتان، جهة تنفي القدر، وجهه تنفي الجبر، فهو مسند إلى الله حقيقة وإلى العبد عادة، وهي صفة يترتب عليها الأمر والنهي والفعل والترك، فكل ما أسند من أفعال العباد إلى الله تعالى فهو بالنظر إلى تأثير القدرة ويقال له الخلق، وما أسند إلي العبد إنما يحصل بتقدير الله تعالى ويقال له الكسب وعليه يقع المدح والذم كما يذم المشوه الوجه ويمدح الجميل الصورة، وأما الثواب والعقاب فهو علامة والعبد إنما هو ملك الله تعالى يفعل فيه ما يشاء، وقد تقدم تقرير هذا بأتم منه في باب قوله تعالى {فلا تجعلوا لله أندادا} وهذه طريقة سلكها في تأويل الآية ولم يتعرض لإعراب ما هل هي مصدرية أو موصولة، وقد قال الطبري: فيها

---

(١) قال الشيخ الغنيمان في شرحه لكتاب التوحيد في البخاري: "يريد رحمه الله بهذا الباب بيان أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء وحده لا شريك له في ذلك فيدخل فيه أعمال العباد وأفعالهم، والآية نصٌ فيه "والله خلقكم وما تعملون" سواءً كانت "ما" موصولة أو مصدرية، فعلى التقديرين فالآية دالة على أن أفعال العباد مخلوقة، لأن آلهتهم التي يعبدونها صارت على شكل معين، وهيئة خاصة بعملهم وصنعهم، وقد أطالوا الكلام في إعراب ما في هذه الآية وادعى بعضهم اجماع أهل السنة على أنها مصدرية وشنعوا على المعتزلة في دعواهم أنها موصولة ظانين أنها إذا كانت موصولة صارت دليلاً على أن العباد يخلقون أفعالهم، والصواب أنها موصولة فقد أورد أقوال بعض من رأى أنها موصولة مثل ابن جرير الطبري وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وجهان فمن قال مصدرية قال المعنى: والله خلقكم وخلق عملكم، ومن قال موصولة قال خلقكم وخلق الذي تعملون، أي تعملون منه الأصنام وهو الخشب والنحاس وغيرهما، ثم أسند عن قتادة ما يرجح القول الثاني وهو قوله تعالى {والله خلقكم وما تعملون} أي بأيديكم، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق قتادة أيضاً قال تعبدون ما تنحتون أي من الأصنام والله خلقكم وما تعملون أي بأيديكم، وتمسك المعتزلة بهذا التأويل قال السهيلي في نتائج الفكر له: اتفق العقلاء على أن أفعال العباد لا تتعلق بالجواهر والأجسام فلا تقول عملت حبلاً ولا صنعت جملاً ولا شجراً فإذا كان كذلك فمن قال أعجبني ما عملت فمعناه الحديث فعلى هذا لا يصح في تأويل «والله خلقكم وما تعملون» إلا أنها مصدرية وهو قول أهل السنة، ولا يصح قول المعتزلة أنها موصولة فإنهم زعموا أنها واقعة على الأصنام التي كانوا ينحتونها فقالوا التقدير: خلقكم وخلق الأصنام وزعموا أن نظم الكلام يقتضي ماقالوه لتقدم قوله ما تنحتون لأنها واقعة على الحجارة المنحوتة فكذلك ما الثانية، والتقدير عندهم: أتعبدون حجارة تنحتونها والله خلقكم وخلق تلك الحجارة التي تعملونها، هذه شبهتهم ولا يصح ذلك من جهة النحو إذ «ما» لا تكون مع الفعل الخاص إلا مصدرية، فعلى هذا فالآية ترد مذهبهم وتفسد قولهم والنظم على قول أهل السنة أبدع.

قوله (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض -إلى- تبارك الله رب العالمين ساق في رواية «كريمة» الآية كلها، والمناسب منها لما تقدم قوله تعالى {ألا له الخلق والأمر} فيصح به قول الله {خالق كل شيء} ولذلك عقبه بقوله قال ابن عيينة بين الله الخلق من الأمر بقوله تعالى {ألا له الخلق والأمر} وهذا الأثر وصله ابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية من طريق بشار بن موسى قال: كنا عند سفيان بن عيينة فقال: ألا له الخلق والأمر، فالخلق هو المخلوقات والأمر هو الكلام، ومن طريق حماد بن نعيم سمعت سفيان بن عيينة، وسئل عن القرآن أمخلوق هو؟ فقال: يقول الله تعالى ألا له الخلق والأمر ألا ترى كيف فرق بين الخلق والأمر، فالأمر كلامه فلو كان كلامه مخلوقاً لم يفرق.

قلت: وسبق ابن عيينة إلى ذلك محمد بن كعب القرظي وتبعه الإمام أحمد بن حنبل وعبد السلام ابن عاصم وطائفة أخرج كل ذلك ابن أبي حاتم عنهم، وقال البخاري في كتاب خلق أفعال العباد «خلق الله الخلق بأمره» لقوله تعالى {لله الأمر من قبلُ ومن بعد} ولقوله {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون} ولقوله {ومن آياته أن تقوم السماوات والأرض بأمره} قال: وتواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ أن القرآن كلام الله وأن أمر الله قبل مخلوقاته، قال: ولم يذكر عن أحد من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان خلاف

ذلك وهم الذين أدوا إلينا الكتاب والسنة قرنا بعد قرن، ولم يكن بين أحد من أهل العلم في ذلك خلاف إلى زمان مالك والثوري وحماد وفقهاء الأمصار ومضى على ذلك من أدركنا من علماء الحرمين والعراقين والشام ومصر وخراسان، وقال عبد العزيز بن يحيى المكي في مناظرته لبشر المريسي(١) بعد أن تلا الآية المذكورة أخبر الله تعالى عن الخلق أنه مسخر بأمره، فالأمر هو الذي كان الخلق مسخراً به فكيف يكون الأمر مخلوقاً، وقال تعالى: {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون} فأخبر أن الأمر متقدم على الشيء المكون، وقال {لله الأمر من قبل ومن بعد} أي من قبل خلق الخلق ومن بعد خلقهم وموتهم بدأهم بأمره ويعيدهم بأمره.

قوله (قلت لابن عباس فقال قدم وفد عبد القيس) تقدم شرح هذا الحديث مستوفى في «كتاب الإيمان(٢)».

٥٧ ـ باب قِراءةِ الفاجرِ والمنافق، وأصواتُهم وتِلاوتُهم لا تُجاوزُ حَناجِرَهم

٧٥٦٠ ـ عن أبي موسى رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآن كالأُترُجَّةِ طعمُها طيبٌ وريحُها طيبٌ، والذي لا يقرأُ كالتَمرةِ طعمُها طيبٌ ولا ريحَ لها، ومثلُ الفاجرِ الذي يَقرأُ القرآن كمثلِ الرَّيحانةِ رِيحُها طيبٌ وطعمُها مُرٌّ، ومَثَلُ الفاجرِ الذي لا يَقرأُ القرآن كَمَثَلِ الحَنْظَلةِ طعمُها مُرٌّ ولا ريحَ لها».

٧٥٦١ ـ عُرْوة بن الزُّبير قال: «قالت عائشة رضي الله عنها سأل أناسٌ النبيَّ ﷺ عن الكهان فقال: إنهمُ ليسُوا بشيء، فقالوا يا رسولَ اللهِ فإنهم يُحدِّثون بالشيء يكون حقاً، قال: فقال النبيُّ ﷺ تلكَ الكلمة مِنَ الحقِّ يخطفُها الجنِّيُّ فَيُقَرْقِرُها في أذنِ وليِّه كقرقَرةِ الدجاجةِ فيَخلِطُون فيه أكثرَ مِن مائةِ كَذْبةٍ».

٧٥٦٢ ـ عن أبي سعيد الخُدريِّ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: يخرُجُ ناسٌ من قِبَلِ المشرقِ ويقرَءُون القرآن لا يُجاوزُ تَراقيهم، يَمرُقُون من الدِّين كما يمرُقُ السَّهم منَ الرَّميَّة، ثم لا يعودون فيه حتى يعودَ السهم إلى فوقه، قيل ماسِيماهم؟ قال: سيماهُم التَّحليق -أو قال- التَّسبِيدُ».

قوله (باب قراءة الفاجر والمنافق وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم) ذكر فيه ثلاثة أحاديث.

الحديث الأول: حديث «أبي موسى» وهو الأشعري مثل المؤمن، وقد تقدم شرحه في فضائل القرآن(٣).

---

(١) والمناظرة بكاملها مطبوعة في كتاب باسم "الحيدة" وقد قال عنها الشيخ الألباني في تحقيقه لشرح الطحاوية "إنها ضعيفة السند"

(٢) كتاب الإيمان باب / ٤٠ ج ٥٣ - ١ / ٦٨

(٣) كتاب فضائل القرآن باب / ١٧ ح ٥٠٢٠ - ٤ / ١٩

وقال ابن بطال معنى هذا الباب أن قراءة الفاجر والمنافق لا ترتفع إلى الله ولا تزكو عنده وإنما يزكو عنده ما أريد به وجهه وكان عن نية التقرب إليه، وشبَّهه بالريحانة حين لم ينتفع ببركة القرآن ولم يفز بحلاوة أجره فلم يجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحلق ولا اتصل بالقلب وهؤلاء هم الذين يمرقون من الدين.

قوله (كقرقرة الدجاجة) وتقدم شرحه مستوفي في الباب المذكور ومناسبته للترجمة تعرض له ابن بطال ولخصه الكرماني فقال لمشابهة الكاهن بالمنافق من جهة أنه لا ينتفع بالكلمة الصادقة لغلبة الكذب عليه ولفساد حاله، كما أن المنافق لا ينتفع بقراءته لفساد عقيدته، والذي يظهر لي من مراد البخاري أن تلفظ المنافق بالقرآن كما يتلفظ به المؤمن فتختلف تلاوتهما والمتلو واحد، فلو كان المتلو عين التلاوة لم يقع فيه تخالف وكذلك الكاهن في تلفظه بالكلمة من الوحي التي يخبره بها الجني مما يختطفه من الملك تلفظه بها، وتلفظ الجني مغير لتلفظ الملك فتفاوتا.

قوله (لا يجاوز تراقيهم) جمع تَرْقُوَه، وهي العظم الذي بين نقرة النحر والعاتق.

قوله (قيل ما سيماهم) أي علامتهم.

قوله (التحليق أو قال التسبيد) قال الكرماني فيه إشكال وهو أنه يلزم من وجود العلامة وجود ذي العلامة فيستلزم أن كل من كان محلوق الرأس فهو من الخوارج والأمر بخلاف ذلك اتفاقاً ثم أجاب بأن السلف كانوا لا يحلقون رءوسهم إلا للنسك أو في الحاجة، والخوارج اتخذوه ديدنا فصار شعاراً لهم وعرفوا به قال ويحتمل أن يراد به حلق الرأس واللحية وجميع شعورهم وأن يراد به الإفراط في القتل والمبالغة في المخالفة في أمر الديانة.

قلت: الأول باطل لأنه لم يقع من الخوارج، والثاني يحتمل لكن طرق الحديث المتكاثرة كالصريحة في إرادة حلق الرأس، والثالث كالثاني والله أعلم.

٥٨ ـ باب قول الله تعالى:

{ونَضعُ الموازينَ القِسْطَ ليوم القيامَةِ} /الأنبياء:٤٧/.

وأنَّ أعمالَ بني آدمَ، وقولهم يُوزَنُ، وقال مجاهدٌ: القسطاسُ: العَدْلُ بالروميَّةِ، ويقال القسطُ مصدَرُ المقسِطِ وهو العادلُ، وأما القاسِطُ فهُوَ الجائرُ.

٧٥٦٣ ـ عن أبي هُريرةَ رضيَ الله عنه قال قال النبيُّ ﷺ: كلمتانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحمن خَفِيفَتَانِ على اللسانِ ثقيلتان في الميزان: سُبحَانَ الله وبحمدِهِ، سبحان الله العظيم».

قوله (باب قول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) والموازين جمع ميزان وأصله موزان فقلبت الواو ياء لكسر ماقبلها، واختلف في ذكره هنا بلفظ الجمع هل المراد أن لكل شخص ميزاناً أو لكل عمل ميزان فيكون الجمع حقيقة أو ليس هناك إلا ميزان واحد والجمع باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص، ويدل على تعدد الأعمال قوله تعالى {ومن خفت موازينه} ويحتمل أن يكون الجمع للتفخيم، كما في قوله تعالى {كذبت قوم نوح المرسلين} مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد، والذي يترجح أنه ميزان واحد ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا، والقسط العدل وهو نعت الموازين وإن كان مفرداً وهي جمع لأنه مصدر، قال الطبري القسط العدل وجعل وهو مفرد من نعت الموازين وهي جمع لأنه كقولك عدل ورضا.

وحكى حنبل بن اسحق في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال رداً على من أنكر الميزان مامعناه: قال الله تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة} وذكر النبي ﷺ الميزان يوم القيامة فمن رد على النبي ﷺ فقد رد على الله عز وجل.

قوله (وإن أعمال بني آدم وقولهم يوزن) كذا للأكثر وللقابسي وطائفة، «وأقوالهم» بصيغة الجمع وهو المناسب للأعمال وظاهره التعميم لكن خص منه طائفتان فمن الكفار من لا ذنب له إلا الكفر ولم يعمل حسنة فإنه يقع في النار من غير حساب ولا ميزان، ومن المؤمنين من لا سيئة له وله حسنات كثيرة زائدة على محض الإيمان فهذا يدخل الجنة بغير حساب كما في قصة السبعين ألفاً، ومن شاء الله أن يلحقه بهم وهم الذين يمرون على الصراط كالبرق الخاطف وكالريح وكأجاويد الخيل، ومن عدا هذين من الكفار ومن المؤمنين يحاسبون وتعرض أعمالهم على الموازين، ويدل على محاسبة الكفار ووزن أعمالهم قوله تعالى في سورة المؤمنين {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم -إلى قوله- ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون}.

قال أبو اسحق: الزجاج أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين.

والراجح ما ذهب إليه الجمهور، وأخرج أبو القاسم اللالكائي في السنة عن سلمان قال: يوضع الميزان وله كفتان لو وضع في إحداهما السموات والأرض ومن فيهن لوسعته.

وقال الطيبي: قيل إنما توزن الصحف، وأما الأعمال فإنها أعراض فلا توصف بثقل ولا

خفة، والحق عند أهل السنة أن الأعمال حينئذ تجسد وتجعل في أجسام فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة وأعمال المسيئين في صورة قبيحة ثم توزن.

والصحيح أن الأعمال هي التي توزن.

قوله (ويقال القسط مصدر المقسط وهو العادل وأما القاسط فهو الجائر) قال الفراء القاسطون الجائرون والمقسطون العادلون.

قوله (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن) وقوله «كلمتان» هو الخبر و«حبيبتان» وما بعدها صفة والمبتدأ سبحان الله إلى آخره والنكتة في تقديم الخبر تشويق السامع إلى المبتدأ وكلما طال الكلام في وصف الخبر حسن تقديمه لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقاً.

وخص لفظ الرحمن بالذكر لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الكثير.

قوله (خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان) وصفهما بالخفة والثقل لبيان قلة العمل وكثرة الثواب وفي هذه الألفاظ الثلاثة سجع مستعذب.

قوله (وبحمده) أسبح الله متلبساً بحمدي له من أجل توفيقه وقيل عاطفة والتقدير أسبح الله وأتلبس بحمده.

قوله:(سبحان الله العظيم)قال ابن بطال: هذه الفضائل الواردة في فضل الذكر إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام فلا تظن أن من أدمن الذكر وأصرعلى ماشاءه من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح.

قال شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني في كلامه على مناسبة أبواب صحيح البخاري لما كان أصل العصمة أولا وآخراً هو توحيد الله فختم بكتاب التوحيد، وكان آخر الأمور التي يظهر بها المفلح من الخاسر ثقل الموازين وخفتها فجعله آخر تراجم الكتاب، فبدأ بحديث «الأعمال بالنيات» وذلك في الدنيا، وختم بأن الأعمال توزن يوم القيامة، وأشار إلى أنه إنما يثقل منها ما كان بالنية الخالصة لله تعالى، وفي الحديث الذي ذكره ترغيب وتخفيف، وحث على الذكر المذكور لمحبة الرحمن له والخفة بالنسبة لما يتعلق بالعمل والثقل بالنسبة لإظهار الثواب، وجاء ترتيب هذا الحديث على أسلوب عظيم وهو أن حب الرب سابق وذكر العبد وخفة الذكر على لسانه تال ثم بين ما فيهما من الثواب العظيم النافع يوم القيامة انتهى ملخصاً.

قلت: وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم الحث على إدامة هذا الذكر، وقد تقدم في

باب فضل التسبيح من وجه آخر عن أبي هريرة حديث آخر لفظه: من قال: «سبحان الله وبحمده» في يومه مائة مرة حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر، وإذا ثبت هذا في قول «سبحان الله وبحمده» وحدها فإذا انضمت إليها الكلمة الأخرى فالذي يظهر أنها تفيد تحصيل الثواب الجزيل المناسب لها، كما أن من قال الكلمة الأولى وليس له خطايا مثلاً فإنه يحصل له من الثواب ما يوازن ذلك، وفيه إيراد الحكم المرغّبِ في فعله بلفظ الخبر لأن المقصود من سياق هذا الحديث الأمر بملازمة الذكر المذكور، وفيه تقديم المبتدأ على الخبر كما مضى في قوله «كلمتان» وفيه من البديع: المقابلة والمناسبة والموازنة في السجع لأنه قال: «حبيبتان إلى الرحمن».

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وأصحابه وأزواجه وذريته والتابعين لهم بإحسان،
وسلم تسليماً كثيرا